مكتب
آية الله السيد محمد علي المسكي

سلسلة الولاية الحقة
[١]

معرفة الله بالله



آية الله السيد محمد علي المسكي

مَعرفة الله بالله

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ
وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن
ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

[سورة النحل: الآية ١٢٥]

سلسلة الولاية الحقّة [١]

معرفة الله بالله

آية الله السيد محمد علي المسكي

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

مكتب سماحة آية الله السيد محمد علي المسكي

سوريا. دمشق: السيدة زينب عليها السلام

هاتف ٥٤٤٧٨٣٨ تلفكس ٥٤٣٠٣٩٩ موبايل ٠٩٤٠٨٧٠٢٢٢

البريد الإلكتروني:

maktab.said.almiski@hotmail.com

دار الإصطفاء

للطباعة والنشر

بيروت - حارة حريك

■ مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[1]..

وأول ما نستفيده من بحار النور[2] كدرس من هذه الآية الكريمة؛ هو ضرورة العلم والمعرفة، وأمير المؤمنين ومولى الموحدين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يقول في أول خطبة من خطب نهج البلاغة: «أَوَّلُ الدِّين مَعْرِفَتُهُ» فالمعرفة باب لكل خير ونور، وبركة..

---

١) سورة محمد: الآية ١٩.

٢) وهم محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله.

ولهذا كانت من أوائل ما يقتضيه العقل، وما أمر به المولى عز وجل، وبيَّنه أهل القرآن والإيمان، الرسول الأكرم وأئمة المسلمين، وأركان اليقين من أهل بيت النبوة عليه وعليهم صلاة الله وسلام المسلّمين..

وتبعاً لهم واقتداءً بهم سار علماء الأمة الإسلامية وفقهاؤها ومراجعها الكرام منذ عصر النص وحتى أيامنا الراهنة وعصرنا الرقمي وحضارتنا الالكترونية، حيث يؤكدون على أهمية ودور المعرفة الحقة بالحق تعالى، وكتبه ورسله وأوليائه..

فكتبوا الكثير من الكتب المُطولة والمختصرة، وبأساليب مختلفة تتناسب مع الطبقة التي يخاطبها العالم، فمنهم مَنْ خاطب العلماء والأعلام، وآخر توجه للطلبة والمثقفين، ومنهم مَنْ توجه لعامَّة الناس، وهذا من أصعب الكتابات لأنها تحاول تبسيط المطالب ليفهمها أكثر الناس المخاطبين بالكتاب أو المقال..

ومن أعلامنا الأعلام وفقهائنا الكرام في هذا العصر العصيب الذي

اختلط فيه الحابل بالنابل، وضاع فيه العالِم بين مُدَّعِي العلم والفهم، برز سماحة آية الله السيد محمد علي المسكي حفظه الله الذي عاد إلى مدينته دمشق الشام التي ولد وترعرع فيها، ليساهم برفد سبل المعرفة الإسلامية ويُكمل طريق مَنْ تقدمه من الأعلام الكرام، ممن حمل ورفع راية الإسلام على منهج وخطى أهل البيت الأطهار عليهم السلام في هذا البلد الطيّب المبارك، بلد الأبدال وأوتاد الأرض في آخر الزمان بإذن الله تعالى..

ومنذ أن وطأت قدمه أرض الوطن بدأ رحلة الجهاد الفكري المقدس، فراح يدَّرس في الحوزات العلمية، ويشارك في المؤتمرات الفكرية، ويُحاضر ويخطب في المهرجانات، والمجالس والمحافل الإيمانية، فالتفَّ حوله أهل الولاء، وتناقلوا محاضراته بشوق ولهفة لما فيها من ولاء خالص، وعلم نافع، وأدب رفيع، وأسلوب بديع..

فطلبنا الرُّخصة من سماحته بإخراج بعض هذه الخطب أو الدروس

النافعة على شكل كتيبات لتعمَّ فائدتها، وتتزين المكتبات بنفعها، وتصبح قريبة من متناول أيدي طلابها، ومحفوظة للعقول التي ترغب في الاستفادة منها، فأذن لنا بذلك مشكوراً، فبدأنا هذه الرحلة الولائية الجميلة..

وقد أخرجنا بعض هذه الدروس والمحاضرات، ولأن ما بين أيدينا يحوم بموضوعه حول المعرفة، وهي بداية للبحوث الفكرية الاعتقادية فرتبناها الأولى من هذه السلسلة التي سميناها (**سلسلة الولاية الحقَّة**) حيث تُسَلِط هذه المحاضرات الضوء على معرفة الله تعالى وتوحيده ومعرفة رسوله وباقي المعصومين الأربعة عشر عليه وعليهم الصلاة وأزكى السلام ومن يأتي بعدهم من خُلَّص الأولياء والأصحاب الكرام الذين كان ولا زال لهم الفضل في ترسيخ دعوة التوحيد والإسلام الأصيل وبقائه في هذا الوجود، فنرجوه سبحانه أن يسهل لنا إخراج بقية هذه السلسلة تباعاً بحول الله تعالى وقوته..

ونرجو من إخواننا القراء الكرام جميعاً أن لا يبخلوا علينا

بملاحظاتهم إن وجدت وأن يتفضلوا علينا بدعائهم لنا بظهر الغيب، ولهم منا مثل ذلك إن شاء الله تعالى.. سائلين الله تعالى لسماحته دوام الصحة والعافية، والموفقية ليكون لهذه الأمة ذخراً وذخيرة في القول والعمل.. ولنا ولكل مَنْ شاركنا بإخراج هذه السلسلة إلى النور الأجر والثواب من الرب الوهاب، والحفظ لجميع المؤمنين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين..

القسم الثقافي في مكتب سماحته

السيدة زينب عليها السلام

■ توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والأمم، (الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم)، والصلاة والسلام على سيد الخلق وأعز المرسلين هادينا من الضلالة، ومخرجنا من حيرة الجهالة حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين الهداة المهديين، الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيراً، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين .

ثم السلام على صحبه المنتجبين، وعلى أشياعهم وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، سيما الواقفين أنفسهم للذود عن شريعة سيد المرسلين

من إضلال المضلين، وتشكيك المشككين، وإرجاف **المبطلين**، والساهرين لحفظ الدين القويم أعزهم الله بعزه، وأيدهم بنصره .

وبعد :

لقد وفقني الله تعالى قبل سنين بملئ بعض الساعات _مما يسمى في الحوزة العلمية بأيام التعطيل_ بتدريس الحديث الشريف[1]، لبعض

---

١) مقدمة التحقيق: بسم الله الرحمن الرحيم..

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله آل الله .

وبعد: مما وفقني رب العالمين به أني حظوت بفرصة تنقيح كراس أضاء وميض حروفه مداد سماحة العلامة الفقيه محمد علي المسكي حفظه الله وعلى الرغم من إتقان هذا الكراس وإحكام أبحاثه، وبراعة التسلسل المنطقي في فقراته وجهاته، وطول باع مؤلفه، وعلى الرغم من ضعف نظري، وقلة اطلاعي وحداثة عهدي بالتحقيق والتدقيق، ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وقد حار لبي في عبائر هذا الكتيب، وتلعثم لسان قلمي في التعليق عليها لأنها محكمة المباني، مشيدة المعاني قوية البيان رصينة الأركان، لا تفتقر لحاشية محش، ولا تعوزها إضافة مضيف، فوجدت أن الصواب يكمن في إطلاق عنان الفوائد المتصلة بالموضوع، وتوضيح بعض المصطلحات لتعم الفائدة لشريحة أوسع من القراء، وتزيل

الفضلاء من طلاب الحوزة العلمية، وذلك من خلال شرح شطر من أصول الكتاب الجليل المعروف بكتاب الكافي، لثقة الإسلام شيخنا الكليني رحمه الله، ولما رأيت هِمَم إخواني في الله وفي تحصيل العلوم الشرعية على هَدْي القرآن والسنة المحمدية والعترة النبوية على صاحبها وعلى عترته أفضل الصلاة والسلام تزداد ضعفاً عن الاهتمام بالحديث الشريف عموماً، وعن كتاب الأصول من الكافي على شرافته خصوصاً؛ عزمت على شد عزيمتي أولاً لكي أقدم لهم نموذجاً مما تناولناه بالبحث من هذه الأحاديث مع النظر في دلالاته، وما يمكن

تململ بعضهم من الأسلوب العلمي البحت، وللهروب من آفة السأم الناشئ من التأصيل والتنظير الاختصاصي والصناعة العلمية.
وقد دمجت الحاشية الموجزة السابقة بالحاشية الجديدة من ناحية الترقيم، وفي بعض الأحيان قد اخلط بين التعليقتين لقرب المعاني وحفاظاً على جمالية الإخراج، والله من وراء القصد وهو المؤيد والمسدد.
مهدي الموسوي الزنجاني

بلوغه من ظواهره وكيفية التدقيق والبحث في ذلك ليكون نبراساً لهم في النظر الدقيق في بقية روايات الأصول فضلاً عن غيرها، وحتى لا تركن أنفسهم لكل ما يسمعونه من تشكيك حول سند أحاديث الكتاب أو دلالاتها؛ لعله يساهم في شد عزائم أبنائي الأعزاء، وإخوتي الأجلاء، وأعزائي من الذين نذروا أنفسهم وشبابهم لدراسة العلوم الشرعية، وتعليمها لطلاب الحق والحقيقة، وتبليغ معالمها وأحكامها خصوصاً الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، والتعرف على العقائد الحقة من معرفة المبدأ جل وعلا وصفاته وأسمائه، ومعرفة الرسول الأكرمﷺ وأهل بيته الذين حفهم كساء النبيﷺ، وشملتهم آية التطهير البليغة، والتعرف على ما يمكن للمحدود من جميع الجهات أن يَبْلُغَه من معرفتهم، ومعرفة مقاماتهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها، وتعريف ذلك لمن أراد أن يتعرف على مقامات أوليائه، وحجج الله عليه، ومَن أُمرنا بالتأسي بهم والاقتداء بهديهم؛ فإن مهمة حفظ الشريعة

الحقة وتعليمها صارت من أولى الواجبات لا سيما في هذا الزمان الذي اشتد فيه امتحان المؤمنين وبلاؤهم؛ لكثرة نداءات التشكيك وصيحات التضليل التي تستدعي من الجميع العمل لترسيخ العقيدة في القلوب والعقول، ثم العمل على الالتزام بلوازمها، وتجسيد تعاليمها قولاً وعملاً، ولا شك في توقف هذا كله على تأصيل رجالات للعلم، ووضع التجارب العلمية بين أيديهم لينظروا فيها ويُقَيِّمُوها ويقارنوها مع بقية التجارب العلمية الأخرى ليستفيدوا من حسناتها، ويرفدوا هذه التجارب بأنظارهم إذا وقفوا بحجة معتبرة على خلل فيها؛ لكي تتضافر الجهود الخَيِّرة في رفع المستوى العلمي والاستدلالي لدى طلاب العلم ومبلغيه في فهم النصوص الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة ـ الذين أيدهم الله تعالى بعلمه اللّدني، وما كانوا لينطقوا عن الهوى سلام الله تعالى عليهم ـ فإن أحاديثهم منبع الفكر للمتعلمين، ومنار الهداية للسالكين، وطريق السعادة للعاملين، سائلين المولى

العزيز العليم جل وعلا، أن يسدد خطانا لبلوغ أعلى مراتب الفلاح، ويأخذ بأيدينا لما فيه الهداية والصلاح، وأن يجعل جهد العاملين خالصاً لوجهِ الكريم الفتّاح، وأن يتقبله بأحسن قبوله، ويحفظه لهم في صحائف خير أعمالهم، إنه سميع مجيب، وهو ولي الهداية والتوفيق .

والحديث الذي اخترته للبحث كنموذج من كتاب الأصول هو المرتبط بـ :

معرفة الله تعالى والرسول صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام

وقد بذلنا جهدنا في تجنب الحشو والإطناب، حتى لا يفضي إلى الملل والإتعاب؛ إذ تكفي الإشارة لأولي الألباب، وعليه فأقول مستعيناً بالعزيز الوهاب، ومتوكلاً على أكرم الأكرمين وأعلم العالمين الهادي للصواب .

والحديث هو :

ما رواه محمد بن يعقوب الكليني[1] في أصول الكافي[2] في باب (أنه تعالى لا يُعرف إلا به) وهو ما روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

---

١) **محمد** بن يعقوب الكليني هو شيخ محدثي الإمامية وصاحب الكتاب الحديثي الأول في مدرسة أهل البيت صلوات الله عليهم توفي سنة ٣٢٨هـ حيث عاصر السفراء الأربعة لمولانا الحجة صلوات الله عليه ويقول النجاشي في حقه: (شيخ أصحابنا في الرأي ووجههم وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم).

٢) أصول الكافي: ج ١ ص ٨٥ طبعة قديمة.

والكافي الشريف عمدة كتب الحديث وهو مؤلف من أجزاء الجزآن الأولان فيه يسميان بأصول الكافي لأنه يتضمن الجزء الأول منهما مسائل العقل والجهل، والعلم والتوحيد والمعصومين عليهم السلام، ويشتمل الجزء الثاني من الكتاب على قضايا القران الكريم والدعاء وأمور الكفر والإيمان وآداب التشريع، وهناك فروع الكافي تحتوي على روايات الأحكام الفقهية والجزء الأخير الروضة في المواعظ والخطب.

«اعْرِفُوا اللهَ بِاللهِ

وَالرَّسُولَ بِالرِسَالَةِ

وَأُولِي الأَمْرِ بِالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ

وَالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ»

وليتضح لنا حقيقة المراد من هذه الدرة اليتيمة الواردة عن مشكاة الهداية، وأنوار الولاية، فلا بد من البحث في جهات :

• الجهة الأولى :
في معنى مفردات الحديث

وليس في مفردات هذا الحديث ألفاظ غريبة بالمعنى المصطلح ولكن نُبيّنُها من باب التوضيح مقدمة لمعرفة المعنى المراد للحديث الشريف.

اعرفوا: هو أمرٌ من المعرفة وتحصيل العلم وهي تتحقق على أنحاء متعددة:

منها : حضور صورة الشيء لدى الذهن بحيث يصبح موجوداً لدى نفس العارف بالوجود الذهني الذي هو عين شكله الخارجي مع اختلاف الآثار _كما حُقق في المباحث العقلية_ ويسمى هذا النحو من المعرفة في الاصطلاح المنطقي: بالمعرفة الحصولية[1] .

١) المعرفة الحصولية: معرفة مكتسبة من الواقع والمحيط الخارجي،وقد تطابق الحقيقة أو تخالفها فهي تحتمل الخطأ، وعند الولادة تكون معدومة، ثم تبدأ بالتنامي والتعاظم، وأدواتها الحواس. قال تعالى في الآية ٧٨ من سورة النحل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ

ومنها : حضور ذات الشيء بنفسه لدى العارف به، ويسمى **هذا** النحو المعرفي في الاصطلاح المنطقي: بالمعرفة الحضورية[1]، **ويمثل له** بمعرفة الإنسان بعلمه وجهله وجوعه وعطشه وضديهما ونحو ذلك .

ومنها : المعرفة الشهودية وهي عبارة عن إدراك العارف للشيء إدراكاً قلبياً وجدانياً وإن لم يحضر لديه بصورته ولا بنفسه[2] كما سيأتي في بعض وجوه تفسير الحديث .

شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ .
ومثالها المهارات المكتسبة كالسباق وركوب الخيل وتعلم اللغات.

١) المعرفة الحضورية: وهي لا يمكن أن تخالف الواقع لأن الشيء حاضر بذاته، وتشمل الفطرة، ولا يشترط فيها الاكتساب؛ فالإنسان يولد على فطرة التوحيد لله تعالى، ومن مصادقيها الإحساس بالذات، ومن هنا ينتفي التعارض الظاهري بين الآية السابقة والآية ٣٠ من سورة الروم وهي قوله تعالى: ﴿...**فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ**﴾ لانصراف الأولى للمعرفة الحصولية، والثانية للحضورية .

٢) المعرفة الشهودية: هي المعرفة التي تكون بالإشراف والكشف والشهود بالقلب، ولا تتسنى إلا بتطهير مرآة الفؤاد من الرذائل،

الله : لفظ الجلالة، عَلَمٌ للذات الإلهية المقدسة المستجمعة لجميع صفات الجمال[1] والجلال[2]، ولا كلام في معناه، وإن طال بينهم الكلام في أصل اشتقاقه اللغوي، حتى أنهاها أحد العرفاء إلى عشرة أصول .

الرسول : هو من أُرسِل بشيء من قبل شخص أو جهة إلى شخص أو جهة أُخرى، والمراد منه هنا من أُرسِل من قِبَل الله جل وعلا من أنبياء الله تعالى ورسله الذين تحملوا أعباء تبليغ الرسالة الإلهية صلوات الله

ومثالها الإيمان بالله تعالى فلا يوجد صورة لله في الذهن فليست معرفة حصولية، ولا ذات البارئ تبارك وتعالى موجودة في الذهن، فليس الإيمان به جل وعلا من المعرفة الحضورية.

١) صفات الجمال:

هي الصفات الثبوتية كالقدرة والعلم والغنى والعظمة والعزة .

٢) صفات الجلال:

وهي الصفات السلبية كالكون في مكان أو في زمان أو في إحدى الجهات، وكالولد والتجسم سبحانه عن ذلك عز وجل .

على نبينا وآله وعليهم أجمعين .

الرسالة : ما يحمله الرسول من المرسِل إلى المرسَل إليه، والمراد منها هنا الشريعة الإلهية التي أُرسل بها المبعوث من قبل الله تعالى لتنظيم حياة الناس، والبلوغ بهم إلى ما يمكنهم بلوغه من مراتب الكمال وتنظيم حياتهم، وتحقيق السعادتين الدنيوية والأخروية .

أولي الأمر : أي أصحاب الأمر والقائمين عليه والمتولين له، وسيأتي توضيح المراد من الأمر، ومن هم أولي الأمر، وقد رواه الشيخ الطوسي[1] في تبيانه عن الإمام الباقر عليه السلام .

الأمر بالمعروف : الحث على فعل الخيرات والطاعات والالتزام بحدود الله تعالى وأحكامه .

---

١) التبيان في تفسير القرآن: ج٣ ص ٢٧٣ .

العدل : الإنصاف بإعطاء كل ذي حق حقه _هذا إذا عُطف على كلمة الأمر_ ويمكن أن يكون معناه: الأمر بإعطاء كل ذي حق حقه[١] _إذا عطف على المعروف_ .

الإحسان : التفضل بإعطاء ما يزيد على الحق، أو الابتداء بالعطاء من دون استحقاق أصلاً، أو الأمر بذلك على الوجهين المتقدمين[٢].

---

١) كما سيأتي توضيحه عند شرح الفقرة الثالثة .
٢) وهما إما العطف على الأمر، أو على مدخوله وهو: لفظ (المعروف) في قوله عليه السلام: «وأولي الأمر بالأمر بالمعروف».

• الجهة الثانية :

في معنى فقرات الحديث ودلالاتها

وبما أن الحديث مشتمل على ثلاث فقرات، فلا بد من التعرض لمعنى كل واحدة منها على حدة وسنتعرض لها تباعاً بإذن الله جل وعلا وحوله وقوته .

• الفقرة الأولى :

قوله عليه السلام : «اعْرِفُوا اللهَ بِاللهِ»

وقد ذُكر في تفسيرها وجوه عديدة نذكر أهمها :

الوجه الأول : ما ذكره الصدوق[1] في توحيده بما مفاده: (لأنَّا إن عرفناه بعقولنا فهو عز وجل واهبها، وإن عرفناه عز وجل بأنبيائه ورسله وحججه فهو عز وجل باعثهم ومرسلهم ومتخذهم حججاً، وإن عرفناه بأنفسنا فهو عز وجل مُحْدِثها، فبه عرفناه) . وأيد قوله هذا بما رواه عن الإمام الصادق عليه السلام: **«لَوْلا الله مَا عُرِفْنَا وَلَولا نَحْنُ مَا عُرِفَ الله[2]»**

١) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٢٦.

٢) في بحار الأنوار للشيخ المجلسي رحمه الله: ج ٣ ص ٢٧٣ ، قال: وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: **« لولا الله ما عرفنا، ولولا نحن ما عرف الله »**؛ لأنهم صلوات الله عليهم وسائط الفيض والخير للعباد، ومعرفته تبارك وتعالى فضل وخير، ولهذا جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة: **« السلام على محال معرفة الله... وحفظة سر الله... إلى الله تدعون وعليه تدلون... من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم...»**

ووضَّح الشق الثاني من هذا الحديث بقوله: (أي ما عُرف **كمال** **معرفته وحق معرفته**)، ومع هذا التقييد في كلامه أنكر القول بإمكان أصل معرفته تعالى بدون الحجج عليهم السلام، فراجع .

الوجه الثاني[1]: معرفة الله بتعليمه وتعريفه، وعدم الاكتفاء لمعرفته بالنظر والاستدلال ببعض خلقه جل وعلا، وعليه فمعرفته تعالى بالطرق والأدلة المستوحاة منه معرفة لله بالله .

الوجه الثالث : أن يُستدل بالوجود على ذاته المقدسة بما أن وجوده عين ذاته جل وعلا .

الوجه الرابع : ما اعتبره صاحب البحار أقرب الوجوه[2] وهو أنه إنما

والروايات والزيارات المفيدة لهذا المعنى تشكل تواتراً معنوياً.

١) للسيد الحسيني محقق كتاب التوحيد في شرحه لكلام الصدوق: ص٢٩١ ولعله إشارة إلى الآيات التي استدل بها الباري جل وعلا على سماته وصفاته ودلل فيها على وجوده ورقابته وقيوميته..

٢) بحار الأنوار لعلامة الدهر الشيخ محمد باقر المجلسي رحمه الله ذكر ذلك في: ج ٣ ص ٢٧٥ .

تتأتى لكم معرفته تعالى بالتفكر فيما أظهر لكم من آثار صنعه وقدرته وحكمته؛ بتوفيقه وهدايته .

الوجه الخامس : أن الخلق لا يمكنهم معرفته تعالى إلا بتوفيقه وإرشاده وهدايته، فإذا عرف الإنسان ربه بهدايته وتوفيقه فقد عرف الله بالله، وإليه أُرجع ما في دعاء السحر للإمام زين العابدين عليه السلام:
« **يا غَفّارُ بِنُورِكَ اهْتَدَيْنا** »[1].

الوجه السادس : أنه تعالى ينكشف بذاته المقدسة عند عقول الخلق فيعرفونه بحضوره عند عقولهم بذاته، وهي مرتبة الفناء فيه جل وعلا وإليه يرجع قول أمير المؤمنين عليه السلام:
« **الحَمْدُ لله المُتَجَلِي لِخَلْقِه بِخَلْقِه** »[2] وهذه معرفة ليست لمية؛

---

١) مفاتيح الجنان: دعاء أبو حمزة الثمالي نقلاً عن المصباح .
٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨ من خطب الملاحم، قال عليه السلام:
« **الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه، والظاهر لقلوبهم بحجته** » .

لتعاليه عن أن يكون له علة يعرف بها، ولا إنيةً؛ لعدم حصولها بتوسط المعلول[1].

---

١) شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح: ج ٥ ص ٨٣ ، والمعرفة اللميَّة والإنيَّة مصطلحان عند الفلاسفة وأهل علم المعقول يراد منهما إثبات الشيء تارة من خلال وجود علته المفيضة والموجدة له، وأخرى من خلال وجود معلولاته وآثاره. ولعل عبارة سماحته لا يتأتى فهمها لكل أحد فنقول لتوضيحها: الدليل اللمي : هو الدليل الذي يتوصل به من المؤثر إلى الأثر كالشمس دليل على النهار بحيث ينتقل المستدل من السبب للنتيجة لإثبات وجودها كمعرفة وجود الدخان انطلاقاً من معرفة وجود النار . والدليل الإني : هو الدليل الذي يتوصل به من الأثر إلى المؤثر كالضوء دليل على وجود الشمس وبعبارة أخرى الانتقال من النتيجة إلى السبب لإثبات وجوده كمعرفة وجود النار انطلاقاً من وجود الدخان . ومعرفة الله وفق الحديث «الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه» ليست لمية؛ لأن الله هو مسبب الأسباب والمبدأ لها، ولا علة له تبارك وتعالى، وليست إنية؛ لأنها لم تحدث بواسطة أثر من الآثار وحيث لا بد من توافر الطرفين وهما عنصر السبب والنتيجة ليتحقق البرهانان اللمي والإني، وهما غير متوفرين مجتمعين بمعرفته كما قررنا فمعرفته ليست إنية ولا لمية .

• **مناقشة الأقوال :**

أما الوجه الأول : فيتوقف على تقدير مضاف تقديره :

(اعرفوا الله بخلق الله)، أو بالطرق التي نصبها الله لمعرفته، والتقدير خلاف الأصل أولاً، وهو خلاف ظاهر الحديث ثانياً .

وأما الثاني : فهو أيضاً يتوقف على تقدير (بتعليم) فيرد عليه ما ورد على سابقه .

وهكذا حكم قول آخر[1] يفسر الحديث على أنه بمعنى: اعرفوا الله بما وصف لكم في كتابه وعلى لسان أوليائه؛ فيكون نهياً عن معرفته بالعقول الناقصة التي قد تنتهي إلى ما لا يليق به سبحانه وتعالى .

وأما الثالث : فهو أيضاً يتوقف على تقدير كلمة (وجود) فيكون المعنى المراد: (أي اعرفوا الله بوجود الله تعالى) .

وإن كان تقدير الوجود الذي هو عين الذات المقدسة أقل كلفة من غيره .

---

١) نور البراهين للسيد نعمة الله الجزائري: ج ٢ ص ١١٥ .

وأما الرابع : الذي اعتبره العلامة المجلسي أقرب الوجوه، **فلا يخفى** احتياجه إلى تقدير أكثر مما سبق لأن المعنى اعرفوا الله بالتفكر بما أظهره لكم من آثار صنعه وقدرته .

أما الخامس : فهو **أولاً** : ناظر إلى سبيل معرفته وأنها لا تحصل لأحد إلا بتوفيقٍ وهدايةٍ من الله تعالى، وليس ناظراً أساساً إلى تكليف العبد بمعرفة ربه وأن يعرفه جل وعلا بالله سبحانه وتعالى، أو يعرفه بطرق أخرى .

ثانياً : أنه يرد عليه عين ما ورد على سابقيه .

ثالثاً : أنه يلزم اعتبار كلمة (نورك) في الدعاء _الذي أُرجع إلى هذا المعنى_ بمعنى هدايتك وهذا خروج آخر عن الظهور اللغوي فيه بلا قرينة .

أما السادس : فرغم دقته، إلا أنه ناظر إلى كيفية تعريف الله نفسه المقدسة لخلقه، وليس ناظراً لما هو تكليف العبد المأمور في هذا

الحديث بالمعرفة، وإن كان بالإمكان توجيه دلالته على المطلوب[1].

وعليه فالمعنى الأقرب للحديث مع الحفاظ على ظاهره قدر الإمكان هو أحد الوجوه التالية: ونستعرضها مع تتميم التسلسل السابق.

الوجه السابع : وهو ما أفاده العلامة والمحدث محمد بن يعقوب الكليني[2] بقوله: (يعني أن الله خلق الأشخاص والأنوار والجواهر والأعيان).

فالأعيان: الأبدان، والجواهر: الأرواح، وهو عز وجل لا يشبه جسماً ولا روحاً، وليس لأحد في خلق الروح الحساس الدرَّاك أمرٌ ولا سبب، بل هو المتفرد بخلق الأرواح والأجسام، فإذا نفى العارف عنه الشبهين: شبه الأجسام وشبه الأرواح فقد عرف الله بالله، وإذا شبَّهه بالروح أو بالبدن أو النور فلم يعرف الله بالله.

---

١) بيان التوجيه قد يطول وقد يعسر على الأفهام إلا على مدقق خبير لذا أعرض عنه سماحته.

٢) الكافي: ج ١ ص ٨٥.

وهذا المعنى هو المراد، بل المنصوص عليه في روايات أُخر، منها: ما ذكره الكليني رحمه الله في الكافي الشريف في نفس الموضع بعد هذا الحديث مباشرة فليراجع[1].

فمفاد الحديث بناء على هذا الوجه: الأمر بالتعرف على الله بالله جل وعلا الذي ليس كمثله شيء، لا التعرف عليه من خلال خلقه المحدودين من أجساد أو أرواح أو أنوار.

الوجه الثامن : ولتوضيحه نقدم مقدمة بما يتناسب مع مستوى البحث: وهي إن الذات الإلهية المقدسة بسيطة من جميع الجهات لا يتطرق إليها التركيب الذهني أو العقلي فضلاً عن الخارجي، ومع غاية

---

١) ومما رواه الرواية القائلة سئل أمير المؤمنين عليه السلام: بم عرفت ربك؟ قال: **«بما عرفني نفسه»** قيل: وكيف عرفك نفسه؟ قال: **« لا يشبه صورة، ولا يحس بحواس ولا يقاس بالناس، قريباً في بعده بعيداً في قربه، فوق كل شيء ولا يقال شيء فوقه، أمام كل شيء ولا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء داخل في شيء، خارج عن الأشياء، سبحان من هو هكذا ولا هكذا من غيره، ولكل شيء مبتدئ»** .

بساطتها يمكن أن ينتزع عنها مفاهيم كثيرة تعبر عنها، وكل مفهوم يشير إلى جهة خاصة منها، فبعضها: يشير إلى جهة من جهات كمالها كالحي والقادر والعالم، وبعضها: يشير إلى جهة من جهات جلالها، وهي المسماة بصفات الجلال كنفي التجسيم، أو العجز، أو الجهل عنها، وبعضها: يشير إلى جهة من جهات أفعال هذه الذات المتعالية كالخالق والرازق والمحيي والمميت وما إليها .

وعليه فالفقير قد يعرف ربه من خلال إحسانه أو رزاقِيَّتِهِ وواهبيَّته، والمريض قد يعرفه جل اسمه من خلال قدرته أو مشافاته ونحو ذلك، والمذنب العاصي قد يعرفه تعالى من خلال عفوه ومغفرته وصفحه ورأفته وتجاوزه، ولكن اسم (الله) _كما قلنا عند التعرض لتوضيح مفردات الحديث_ اسم شامل لجميع الحقائق والتعيُّنات الخاصة الجمالية والجلالية .

والحديث يمكن أن يكون ناظراً إلى هذا المعنى وهو: الأمر

بمعرفته تعالى بتعينه الشامل الجامع، وعدم الاقتصار على **معرفته من** جهة خاصة أو تعين محدود لما في ذلك من نسبة نقص أو تحديد له، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

فإن قيل: ما دامت صفاته جميعاً عين ذاته المقدسة فلا يلزم نقص من خلال مناجاته تعالى بأي منها، أو معرفته بها، وإلا للزم أن يكون التنقيص ملازماً لجميع الخلق !.

فالجواب: صحيح أن صفاته عين ذاته، إلا أن الكثيرين يستغرقون ببعضها، كمن يستغرق في صفات الرهبة والجبروت والعظمة فيزداد خوفه، والبعض قد يتأثر بصفات الرجاء والرأفة والرحمة فيغلب عليه رجاؤه، والأول: قد يُبتلى باليأس من رَوح الله تعالى، والثاني: قد يبتلىُ بالتواكل والتسويف في التوبة، وكلاهما خلل في سير وسلوك الإنسان نحو ربه تعالى، فناسب أمره بمعرفة الله جل وعلا بـ (الله) المستجمع

لجميع صفات الجلال والإكرام[1].

الوجه التاسع: أن يكون إشارة وإرشاداً للعقل إلى برهان يسميه علماء الإلهيات ببرهان الصديقين[2] يستدل من خلاله على الله بالله جل وعلا.

---

١) لعل توجيه سماحة السيد حفظه الله لا يعدو كونه إرشاداً لعدم الاستغراق والإفراط ببعض الصفات دون الأخرى، وليس استبعادا للوجه الثامن ولا سيما أنه حفظه الله جعله من الوجوه الأقرب للصحة.

٢) وهو برهان له صيغ متعددة مذكورة في كتب الإلهيات يستدل به لإثبات وجود الله تبارك وتعالى عن طريق معرفة الوجود إذ لا واسطة فيه لإثبات وجوده سوى حقيقة الوجود، وقد ابتكره ابن سينا، وقرره صدر المتألهين الملا صدرا الشيرازي رحمه الله، وتعرض له العلامة الطباطبائي في المرحلة الثانية عشر الباحثة عن الإلهيات بالمعنى الأخص من كتابه نهاية الحكمة.

• **الوجه المختار : وهو**

الوجه العاشر : _حتى تكون عشرة كاملة_ وهو أن هذا الحديث

لا يريد أن يبطل معرفة المخلوقين بخالقهم جل وعلا من خلال مخلوقاته، والنظر والتأمل فيها، وبعظيم دقتها، وما تكشف عنه من عظمة مبدعها وصانعها[1]، كيف؟. والقرآن الكريم عامر بحثّ الناس على الإيمان به، وبتذكيرهم بعظمته تعالى وحكمته من خلال تنبيههم على ما أودعه سبحانه من الحكمة والدقة واللطافة في مخلوقاته[2].

---

١) وهذا إشارة إلى البرهان الإني المسمى ببرهان النظم الذي يستدل من خلاله على وجود الخالق الصانع الحكيم .

٢) كما في قوله تعالى: في سورة البقرة: الآية ٢٨-٢٩ : ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ... * هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً...**﴾. والآية ١٦٤ منها التي يقول سبحانه فيها: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ والآية ١٩٠ من سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ**

بالإضافة إلى الآيات التي يحث الناس فيها على التفكر في الآفاق والأنفس[1].

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾. وبداية سورة الأنعام، والآية ٢_٤ من بداية سورة الرعد ومنها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وغيرها كثير مما لا يخفى على المتدبرين في الكتاب المجيد.

١) كما في سورة آل عمران الآية ١٩١ وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.
وسورة فصلت الآية ٥٣ وهي قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وغيرهما مما تقدم في الحواشي السابقة.

والتأمل بآياته المبثوثة في كل شيء[1].

هذا بالإضافة إلى السنة الشريفة بما فيها أيضاً كما لا يخفى على المطالعين.

كما لا يريد سد باب طرق الاستدلال العقلي لمعرفته تعالى.

كيف؟ والقرآن قائم على إطلاق عنان العقل للتأمل والتفكر والتدبر هذا أيضاً بالإضافة إلى السنة الشريفة لمن تأمل بهما[2].

---

١) وفي سورة الروم فقط سبعة من هذه الآيات، والآية ٢٩ ثم ٣٢و ٣٣ من سورة الشورى وفيها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ * إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ وسورة يس الآية ٣٦، وغير ذلك كثير.

٢) الآيات كما في سورة البقرة: الآية ١٦٤، والنحل: الآية ١٢و٦٧، والروم: الآية٢٤ وغيرها، كما مر وذكر في الحاشية١ ص٣٦، والروايات يراجع الباب الأول من أبواب كتاب أصول الكافي بأحاديثه الشريفة، وأول بحار الأنوار..

بل كثيراً ما ذَمَّ من لا يتدبر[1] ولا يتفكر، ولا يستعمل عقله في اكتشاف الحقائق[2]، سيما المرتبطة بالمبدأ سبحانه ، والمعاد .

فكل هذا ليس مراداً من هذه الفقرة من الحديث، ولا فيه إشارة لذلك، بل المراد ـ والله العالم ـ حث أهل الإيمان والوعي على مرتبة من المعرفة لله تعالى لا تدانيها مرتبة وهي المعرفة الشهودية بحيث يخلص الإنسان فيها نفسه من كل علائق الدنيا وما فيها، ومن كل شيء

---

١) سورة النساء: الآية ٨٢ وهي قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ وسورة محمد صلى الله عليه وآله: الآية ٢٤.

٢) سورة المائدة: الآية ١٠٣-١٠٤ وفيها قوله تعالى: ﴿...وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ وسورة الأنفال: الآية ٢٢ بقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . وسورة يونس: الآية ١٠٠ وفيها قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾، وغيرها .

خلا الله تعالى بعد ما عرف ربه إجمالاً بأي طريق من طرق المعرفة المتقدمة الذكر، وأفاقَ من غفلته عِنه، وآمن به ومن ثم يجاهد في الله بإخلاص طالباً منه سبحانه أن يُعرِّفه على ذاته بذاته، ليفيض الباري عليه من المعرفة واليقين بحسب ظرفيته، وقدر طاقته وهذا من باب ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾[1] ما لا يمكن له تحصيله من أي طريق عقلي كان أو نقلي فيتجلى بذاته جل وعلا على قلب عبده العارف على ما أشير إليه في قصة الكليم موسى على نبينا وآله وعليه السلام بقوله تعالى: ﴿...فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] فيعرف الله كأفضل ما تكون المعرفة فيسبحه وينزهه عن كل أشكال المعرفة الناقصة التي كان عليها، ويرى نفسه بعد هذا التجلي الإلهي أول المؤمنين[3]،

١) سورة الرعد: الآية ١٧ .
٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٣ .
٣) ونعتقد أنه لا يعقل أن يطلب نبي الله وكليمه عليه السلام الرؤية البصرية .

وكما هو مقام معرفة أولياء الله جل وعلا، ومن أوائلهم بعد الحبيب المصطفى ﷺ سيدنا مولانا أمير المؤمنين ومولى الموحدين عليه السلام الذي كان يحكي عن هذا المقام من المعرفة كل صباح في دعاء الصباح بقوله عليه السلام: « يا مَنْ دَلَّ عَلى ذاتِهِ بِذاتِهِ » ثم يشير إلى مقام تسبيحه وتنزيهه بعد المعرفة بقوله:

« وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجانَسَةِ مَخْلُوقاتِهِ »[1].

وأي معلم أقدر على تعريف الله لعبده المحسن المجاهد فيه من الله جلت قدرته، وقد وعد سبحانه في آخر سورة العنكبوت من يجاهد فيه بالهداية، وأن يكون معه، بقوله جل جلاله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]

ومن هنا ولعظمة هذا المقام من المعرفة ورد الدعاء والتوسل إلى

---

١) دعاء الصباح لأمير المؤمنين علي عليه السلام المعروف في كتب الأدعية ومنها أعمال الصباح من كتاب مفتاح الجنات للسيد السند محسن الأمين رحمه الله.
٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

الله تعالى بأن يكون هو معرِفنا على نفسه القدسية، كما جاء في دعاء زمن الغيبة[1] بقوله فيه: « اَللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ...» .

---

١) وهو دعاء مروي عن أول السفراء والنواب الأربعة وأمر أن يدعى به في زمن الغيبة، والذي يقول فيه سيد العرفاء والعلماء، وأستاذ المحققين والفقهاء ابن طاووس في كتابه جمال الأسبوع ص ٣١٥ : (إذا كان لك عذر عن جميع ما ذكرناه من تعقيب العصر يوم الجمعة فإياك أن تهمل الدعاء به، فإنا عرفنا ذلك من فضل الله جل جلاله الذي خصنا به، فاعتمد عليه) .
وقد رواه الشيخ الطوسي في مصباحه ص ٤١١، والشيخ الصدوق في كمال الدين ص ٥١٢ .
ووردت مقدمته التي هي محل الاستشهاد في حديث يرويه زرارة قدس سره عن مولانا الصادق عليه السلام يأمره بالدعاء به في زمن غيبة الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف كما نقله الكليني في الكافي ج١ ص٣٣٧. ورواه بسند آخر عن زرارة في ج١ ص٣٤٢ .
كما رواه الشيخ الصدوق أيضاً عن زرارة في كتابه كمال الدين وإتمام النعمة ص٣٤٢ . ونسأله تعالى أن يوفقنا لشرحه وبيان ما ييسره لنا من مقاصده .

وهكذا إمامنا السجاد عليه السلام يشير إلى تحقق معرفة الله بالله جل وعلا في أسحار شهر رمضان ضمن دعاء السحر المعروف الذي كان يواظب مولانا السجاد عليه السلام على التهجد به في أوقات السحر من ليالي شهر رمضان المبارك حيث يقول عليه السلام : « **بِكَ عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ دَلَلْتَني عَلَيْكَ وَدَعَوْتَني إِلَيْكَ، وَلَوْلا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ ما أَنْتَ** »[1].

وقبل الجميع ورد عن مولى الموحدين عليه السلام عندما سئل: هل عرفت الله بمحمد صلى الله عليه وآله أم عرفت محمداً صلى الله عليه وآله بالله عز وجل؟

فقال: « **ما عرفت الله بمحمد صلى الله عليه وآله ولكن عرفت محمداً صلى الله عليه وآله بالله عز وجل** »[2].

---

١) ذكر في مصباح المتهجد، وفي الصحيفة السجادية للأبطحي ص٢١٤ وهذا المنهل المبارك هو قبس من نور كلام الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه المروي عن ثقة الأئمة السجاد والباقر والصادق صلوات الله عليهم وهو أبي حمزة الثمالي (ثابت بن دينار) رضي الله عنه .

٢) توحيد الصدوق: ص ٢٨٦ ح ٤ .

وقوله عليه السلام: لما سئل بما عرفت ربك؟ قال عليه السلام: « بِمَا عَرَّفَنِي نَفْسَه »[1] .

بالإضافة إلى ما سيأتي آخر هذه الفقرة .

و غير ذلك مما دل على هذا المعنى، مما يوجب الاستغناء عن النظر في الطرق والأسانيد أو التشكيك في صدور هذه المعاني عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، الذين هم أعرف خلق الله بالله جل وعلا .

وهذا المعنى لا ينافي أياً من المعاني الأخرى المتقدمة لهذه الفقرة من الحديث، بل لا يخفى على المتأمل مدى انسجام فقرتنا معها، وعدم منافاتها لما نعتقد به من احتياج الخلق إلى الحجة من نبي أو وصي؛ للتعرف على الله تعالى وعلى شرائعه وأحكامه، كما ورد هذا المعنى في دعاء زمن الغيبة المتقدم الذكر والوارد في رواية زرارة[2] حيث جاء فيهما: « اَللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ

---

١) توحيد الصدوق: ص ٢٨٥ ح ٢ . وفي الكافي عن عليّ بن عُقبة: سُئل أمير المؤمنين عليه السلام: بِمَ عرفتَ ربّك؟ قال: «بما عرّفني نفسه» .

٢) راجع المصادر المشار إليها في الحاشية رقم ١ الصفحة ٤١ .

دِينِي » والمراد من الدين تمام الدين أي ما يشمل أصوله وفروعه كما هو واضح .

ولا ينافي ما ورد في خطبة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام _التي عبر عنها الشريف الرضي قدس سره بأنها من خطب الملاحم_ حيث قال فيها: « الحَمْدُ لله المُتَجَلِي لِخَلْقِه بِخَلْقِه، وَالظَاهِرِ لِقُلُوبِهِم بِحُجَّتِه»، فإن الخلق والحجج طرق عظيمة لمعرفة الله جل وعلا ولكنها لا تمنع من وجود طرق أخرى قد تكون أوضح وأجلى.

ونختم الكلام حول هذه الفقرة من النص بما دل على هذا المعنى، وبيَّن ضرورة السعي لتحصيل هذا المقام من المعرفة الذي يعتبره التحقق الأتم للتوحيد الحقيقي وهو: ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام فيما رواه الكليني في كافيه في باب حدوث الأسماء بقوله: « لا يَزِلُّ من فَهِمَ هَذَا الحُكم أبداً، وهو التوحيدُ الخَالِص، فارْعَوه وَصَدِّقُوه وتَفَهَّمُوه بإذنِ الله، مَنْ زَعَم أنَّه يَعْرِفِ الله بِحِجَابٍ أو بِصُورَة أو بِمَثَالٍ

فَهُو مُشْرِك؛ لأنَّ حِجَابَهُ وَمِثَالَهُ وَصُورَتَهُ غَيْرَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ وَاحِد مُتَوحِّدٌ فَكَيْفَ يُوَحدُهُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَرَفَهُ بِغَيْرِه، وَإِنَّمَا عَرَفَ الله مَنْ عَرَفَهُ بالله، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ بِهِ فَلَيْسَ يَعْرِفُهُ، إنَّما يَعْرِف غَيرَهُ، لَيْسَ بَيْنَ الخَالِقِ وَالمَخْلُوق شيء، واللهُ خَالِقُ الأَشيَاءَ لا مِنْ شَيء كَان، وَاللهُ يُسَمَّى بِأَسْمَائِهِ وَهُو غَيْرُ أَسْمَائِهِ وَالأَسْمَاء غَيْرَه »[1] .

ولا ينافي هذا ما قلناه من انسجام هذا الوجه مع سابقيه لإمكان كونه ناظراً إلى أن المعرفة التامة لا تتحقق إلا به تعالى، ولا يمكن أن تتحقق لمن لا يعرفه جل وعلا إلا ببعض مخلوقاته .

---

١) الكافي للكليني: ج ١ ص ١٦٤، بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٦١ باب١ بعنوان المغايرة بين الاسم والمعنى، نقلاً عن الشيخ الصدوق في كتابه التوحيد بسنده المتصل إلى الإمام الصادقعليه السلام..

• الفقرة الثانية :

قوله عليه السلام : «والرسول بالرسالة»

أي اعرفوا الرسول بالرسالة، وأيضاً ذكر في شرح هذه الفقرة معانٍ ووجوه :

الوجه الأول : أي اعرفوا الرسول بالمعجزات، والدلائل الدالة على بعثته[1] .

الوجه الثاني : أي اعرفوا الرسول بأنه أرسل بهذه الشريعة وهذا الدين وهذا الكتاب[2] .

الوجه الثالث : أي اعرفوا الرسول بما يناسب رسالته من العصمة والفضل والكمال[3] .

١) احتمله العلامة المجلسي في بحاره: ج ٣ ص ٢٧٤ .
٢) المصدر السابق .
٣) نور البراهين: ج ٢ ص ١١٥ .

الوجه الرابع : أي اعرفوا الرسول بما أوتيتم من عقل بأنه مرسل من قبله تعالى إلى الخلق، ولا تخوضوا بهذه العقول الناقصة في معرفة مقاماته لئلا تنسبوا إليه ما لا يليق به، بل اعرفوه بما أوضح لكم من أوصافه في رسالته إليكم .

الوجه الخامس : أي اعرفوا الرسول بالرسالة لأنها أشمل أوصافه صلى الله عليه وآله وأفضلها[1] فإنه كان أعلم أهل زمانه، وأفصح من نطق بالضاد، وأكثرهم حلماً وكرماً، وكان أيضاً رسولاً فهذا الوجه يَعتبر أن معرفته صلى الله عليه وآله بأنه: (رسول) هو المطلوب من المعرفة ولعله لكون هذا الوصف يشمل الجميع، كما يمكن إرجاع هذا الوجه إلى الوجه الثاني .

---

١) نفس المصدر: ص١١٦ .

- **مناقشة الأقوال :**

أما الوجه الأول : فلا يخفى بُعدُه عن ظاهر الحديث جداً؛ لأن المعجزات وما دل على بعثتهﷺ ليس هو الرسالة التي أمرنا بمعرفته بها .

وأما الوجه الثاني : فكذلك؛ لأنه يفيد لزوم معرفة كونه مرسل بهذه الرسالة، وأين هذا من معرفتهﷺ بالرسالة ؟.

وأما الوجه الثالث : فيفيد معرفته بما يناسب الرسالة، ولا يخفى بعده عن معرفته بنفس الرسالة .

وأما الرابع : فيفيد معرفة أصل كونه مرسلاً من قبله تعالى بواسطة العقل؛ والحال أن معرفة كونهﷺ مرسلاً برسالة، يغاير معرفته بالرسالة، ومعرفته بأوصافه الواردة في الرسالة، كذلك .

وأما الخامس : فكأنه يريد الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾[1] بحيث نعرف النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه رسول، وهذه صفة جامعة له بخلاف معرفته (صلى الله عليه وآله) بوصف البشير أو النذير ونحوهما من الأوصاف الخاصة بجهة معينة .

وهذا الوجه وإن كان أقرب ما ذُكر لظاهر الحديث، إلا أن وصفه (صلى الله عليه وآله) بأنه رسول، ومعرفته بهذا الوصف الجامع لا ينسجم مع ظاهر معرفته بالرسالة، ولا معين له بل الظاهر كون المراد: وهو

---

١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤ .

- **الوجه المختار :**

الوجه السادس : وحاصله أن يراد بالحديث إيقاظ الفطرة السليمة والعقول الواعية لدى الناس ليتأملوا في أصول الرسالة المحمدية التي جاءهم صلى الله عليه وآله بها، وفروعها وما تشتمل عليه من قِيَمٍ أخلاقية، وما تتضمنه من أيديولوجية متكاملة شاملة، تتناول جميع جوانب الإنسان الروحية المعنوية والمادية، وتغطي جميع متطلبات الحياة الإنسانية[1]، وأن كتابه كما ورد فيه بقوله تعالى: ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾[2] **فمن خلال معرفتهم بعظمة الرسالة** وما تكتنزه من ذخائر فكرية وعملية، تتجلى لهم عظمة الرسول صلى الله عليه وآله ومكانته وأبعاد شخصيته الكريمة؛ لأن الرسول ترجمة عملية لكل

---

١) الفردية: من قبيل علاقته مع ربه تعالى، ومع نفسه، والاجتماعية: كتنظيم علاقة الإنسان مع أبائه وزوجه وأبنائه وجيرانه، وتنظيم الأحوال الشخصية والتجارية والسلوكية مع سائر أفراد المجتمع، وما إلى ذلك من أمور وما يتفرع عليها من فروع شاملة ومستوعبة .

٢) سورة فصلت: الآية ٤٢ .

ما يدعو إليه من تعاليم، كما يشاهدونه من سيرته ويعايشونه من سلوكياته وتصرفاته، مما يوجب انقياد القلوب والعقول إليه في كل ما جاء به من تعاليم وأحكام، وإن كانت على خلاف ما جرت عليه عاداتهم وتقاليدهم، وما هو مأنوسٌ لديهم، وهذا بخلاف من يتعرف على الرسول صلى الله عليه وآله من خلال حسبه أو نسبه، أو من خلال جنبة خاصة من خصوصياته، فإن صورة الرسول حينئذ سوف تكون مبتورة في أذهانهم[1].

---

1) كما حكى القرآن الكريم ذلك عن بعض الأمم مع أنبيائهم كقوم شعيب على نبينا وآله وعليه السلام حيث قالوا له كما في الآية ٩١ من سورة هود: ﴿ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً ﴾ فلعدم إدراكهم لشريعته ولملاحظتهم لتواضعه وعدم تعديه على أحد وهو ما يعدونه ضعفاً فيه، بخسوا حق نبيهم عليه السلام وكفروا بما أرسل به، وكقوم نوح على نبينا وآله وعليه السلام الذين قيّموا رسولهم من خلال أتباعه وأنصاره دون شمولية رسالته فخلصوا لقول ما نقله تعالى عنهم في الآية ١١١ من سورة الشعراء: ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴾ ونحو ذلك .

وبخلاف من يتعرف على الرسول من خلال عظمة شخصيته وقوة ملكاته، وغرابة معجزاته فينبهر بكماله ويغلو فيه[1]، ولا يأبه برسالته ولا يعمل بشريعته والكتاب الذي أنزل معه، ولا يلتفت إلى أنه رسول يدعو إلى العبودية لله الواحد القهار جل وعلا.

ولا ينافي هذا الوجه المختار في تحديد معنى هذه الفقرة ما ورد في الكتاب العزيز[2] من قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾، وأمثالها، مما هو ناظر إلى اطلاعهم على رسالته ورفضهم لها؛ لأن أمثال هؤلاء ما عرفوا الرسول ولا عرفوا الرسالة وإنما عرفوا مصالحهم الخاصة

---

١) كما حكى القرآن الكريم ذلك عن بعض الأمم مع أنبيائهم كالنصارى الذين عرفوا نبيهم من خلال معجزاته وإخباره عما يدخرون في بيوتهم، وإبرائه للأعمى والأبرص، وإحيائه الموتى ونحو ذلك فابتلوا بالغلو وادَّعوا اُلوهيته أو أنه ابن الله، تعالى عما يقولون علواً كبيراً، وغفلوا عن أنه عبد لله تعالى ورسول منه إليهم؛ إذ لم يدركوا شمولية رسالته ولا ما تجسده من حكمة.

٢) سورة البقرة: الآية ٨٧.

وأهوائهم وتقاليدهم فقط ويريدون من كل رسول يأتيهم أن **يقرهم** على ما هم عليه، وبمجرد تعارض بعض تعاليم النبيﷺ **مع أهوائهم** فإما يكذبوه أو يقتلوه، دون أن ينظروا بفطرتهم السليمة، **وعقولهم** المنفتحة الواعية إلى حقيقة رسالته.. ولا يخفى أن هذه الفقرة أيضاً مُؤيَّدٌ مضمونها بنصوص شرعية، ويمكن اعتبار ما ورد في القرآن الكريم من الآيات الآمرة بالتدبر في القرآن شاهداً على ذلك كقوله تعالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[1] ؛ فإن القرآن يمثل كنه الرسالة الخاتمة، ومعرفته توجب معرفة الرسول وإن لم تكن معرفة الكتاب موجبة فقط لمعرفة الرسولﷺ[2] .

١) سورة النساء: الآية ٨٢. ولا يخفى أن سياقها وما قبلها دال على لزوم تصديق الرسول من خلال هذا التدبر .

٢) كما يمكن عد الآيات التي تشير إلى كون ما جاء به بعض الأنبياءعليهم السلام مصدقاً لما مع الناس شاهداً مهماً على هذا المضمون كما في الآية ٤١ من سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿**وآمنوا بما أنزلتُ مُصَدقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشترُوا بآياتي ثَمَناً قَلِيْلاً وَإيايَ فَاتقُون**﴾. والآية ٩١ منها وهي قوله جل شأنه: ﴿**وإذا قِيلَ لَهُم آمِنُوا بِمَا أنزَلَ الله**

• الفقرة الثالثة :

قوله عليه السلام : «وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان»

وتبعاً للتفاسير المتعددة للفقرتين السابقتين تعددت الوجوه في تفسير هذه الفقرة :

قَالُوا نُؤمِنُ بمَا أنْزلَ عَلَيْنَا وَيكفُرونَ بمَا وَرَاءَهَ وَهُوَ الحَقُّ مُصَدقَاً لِمَا مَعَهُمْ قُل فَلِمَ تَقْتُلُونَ أنبيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إنْ كُنْتُمْ مُؤمِنينَ﴾، وهكذا ما ورد في سورة الأحقاف الآية ٣٠-٣١ من قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ حيث علقت إجابة داعي الله على معرفة رسالته وكون ما أنزل عليه مصدقاً لما بين يديه، ولاشك في كون إجابته متوقفة على معرفته .

الوجه الأول : أن يكون المراد اعرفوهم عليهم السلام **بأنهم المحتاج إليهم لإقامة المعروف والعدل والإحسان، وعَوَّلوا في معرفتهم على ما** وصفوا لكم، ولا تخوضوا في معرفتهم بعقولكم القاصرة فتنسبوا إليهم ما يوجب نقصهم أو الغلو فيهم .

الوجه الثاني : أن يكون المراد اعرفوهم عليهم السلام بما بينوا لكم من المعروف والعدل والإحسان وبما اتصفوا به من هذه الأوصاف والأخلاق الحسنة .

الوجه الثالث : أن يكون المراد اعرفوه عليهم السلام بمتابعتهم في المعروف، والعدل والإحسان، ونتيجة هذه المتابعة استكمال العقول .

الوجه الرابع : أن يكون المراد اعرفوهم عليهم السلام بعلمهم بالمعروف وإقامة العدل والإحسان، وإتيانهم بها على وجهها[1] .

---

١) البحار: ج ٣ص ٢٧٥ وهو الذي اعتبره العلامة المجلسي في بحاره أقرب الوجوه.

الوجه الخامس : أن يكون المراد اعرفوهم عليهم السلام بما يناسب درجتهم العالية التي هي رئاسة الدين والدنيا .

وغير ذلك من الوجوه التي ذكرها العلماء الأعلام أو احتملوها مما يحوم حول معنى هذه الفقرة من الحديث .

- **مناقشة هذه الوجوه :**

أما الوجه الأول : ولا يخفى على المتأمل أنه وإن كان حقاً في نفسه، لكنه بعيد عن ظاهر الحديث؛ إذ معرفتهم بالحاجة إليهم في إقامة المعروف، غير معرفتهم بأمرهم به وما يستبطنه ذلك .

وأما الثاني : مع قربه في نفسه، إلا أن معرفتهم بما بينوا من المعروف مغايرة لمعرفتهم بالأمر به .

وأما الثالث : فصحيح أن من يتَّبع الكُمَّل من أولياء الله تعالى يستحصل الدرجات العلية من مراتب الوعي والإدراك والعقلانية، لكن يبعد استفادة ذلك من ظاهر الحديث .

وأما الرابع : فسيأتي ما فيه .

وأما الخامس : فهو توضيح وتعريف باللازم كما هو واضح .

- **الوجه المختار :**

ولتفصيل معنى هذه الفقرة لا بد من تقديم مقدمة وهي :

أن العدل والإحسان **إما أن يكونا** معطوفين على المعروف، وعليه فالمعنى اعرفوهم عليهم السلام بأمرهم بهذه الأمور الثلاثة وحثهم الناس عليها. **وإما أن يكونا** معطوفين على نفس الأمر فالمعنى اعرفوهم بعدلهم وإحسانهم وأمرهم بالمعروف .

ولا يخفى أن الأظهر هو الاحتمال الثاني؛ إذ مجرد أمر الحاكم لرعيته بالعدل والإحسان لا يمكن أن يعد مقياساً لمعرفة أولي الأمر؛ إذ كم من ظالم يصف حقاً ويدعو إليه ولكن لا يعمل به .

وبناءً على الاحتمال الثاني؛ ندخل في تحليل المراد من هذه الفقرة، وبالتأمل بها يظهر أن المراد منها أمور ثلاثة :

• المراد من الفقرة الثالثة :

الأمر الأول :

حث الناس على تشخيص ولاة الأمر الذين هم أحق الخلق بخلافة الله تعالى في عباده وبلاده، وخلافة الرسول الأكرمﷺ على أمته وشريعته من خلال تحليهم بأكمل الصفات وأرقاها وهي: أن يكون قائد الناس بعد النبيﷺ كالنور ظاهراً في نفسه مظهراً لغيره بحيث يكون ولي الأمر متصفاً بأوصاف وهي :

أولاً : أن يكون متصفاً بوصفي العدل والإحسان اللذَينِ هما من الأوصاف التي إذا وجدت في إنسان فقد بلغ القمة في تهذيب النفس ولجمها عن الجور والتعدي، وإنصاف الناس ولو من نفسه، وأن لا يبخسهم أشيائهم، بل يعطي كل ذي حق حقه وهو مظهر العدل، بل

يكون أرقى من ذلك وأسمى من خلال كونه سخياً ومبتدءاً بالعطاء قد وُقِيَ شُح نفسه، فيكون مظهراً للخير والإيثار بدلاً عن أن يكون متوغلاً في الشح والاستئثار، وهذا هو الإحسان، وهذان الوصفان كلاهما من الأوصاف الإلهية العظيمة التي لا بد لأولياء الأمور من التحلي بها، وأن يكونوا مجبولين عليها، لا أن يتصنعوها ويتكلفوها تكلفاً .

ثانياً : أن يكون آمراً بالمعروف من خلال دعوة الناس للتحلي بهذه الأخلاق والصفات الكمالية[1]، هذا فضلاً عن إقامة الفرائض الشرعية والحدود الإلهية، فيكون الولي متصفاً بالكمال وداعياً إليه، عاملاً بالخير وحاثاً عليه؛ فيقود الأمة بهداية الله تعالى نحو كمالها المنشود بأقواله المتمثلة بأمره بالمعروف، وبأفعاله المتمثلة بعدله وإحسانه.

---

١) ولا يخفى ملازمة الأمر بالمعروف للنهي عن المنكر، ولعل ترك ذكره والتنصيص عليه لوضوحه، كما لا يخفى أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرائط من أهمها معرفة الآمر والناهي بالمعروف والمنكر حتى لا يأمر بمنكر أو ينهى عن معروف .

الأمر الثاني :

الارتقاء بوعي الأمة إلى مستوىً رفيع من المعرفة والإدراك من خلال دعوتها إلى المعرفة الدقيقة للأحكام الشرعية والحدود الإلهية للتمكن من تشخيص المعروف وبالتالي معرفة من يدعو إليه، وتشخيص العدل والإحسان وبالتالي معرفة من يعمل بهما، وكذلك معرفة أضدادها ومن يتصف بها ويدعو إليها؛ إذ الإنسان ما لم يعرف العدل والإحسان، ويعرف المعروف بدقة ويميزه عن المنكر، فلن يستطيع أن يعرف أهل العدل والإحسان من ولاة الأمر، ولا من هو الآمر بالمعروف منهم، ومع عدم تشخيص المنكر لن يقوى على معرفة الآمرين به، ومعرفة أهل الظلم والجور وتشخيصهم، كما أشار إليه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام[1] بقوله:

---

١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص٢١٠، روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص٣١، وطرائف ابن طاووس نقلاً عن الغزالي ص ١٣٦، ومثله في أمالي الشيخ ص ١٣٤، ونقل عن أنساب الأشراف للبلاذري .

« اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه »

فكم من حاكم جائر يُلبِّس على الناس جوره، وكم من آمر بالمنكر يُزيِّنه للناس ويُخرجه على أنه حق كما نقل الطبري[1] تلاعب عبيد الله بن زياد _عليه لعائن الله والموحدين لله_ على الناس وتصوير الباطل لهم حقاً.

وكدعوى معاوية أن من أتى بالصحابي الجليل عمار بن ياسر إلى ساحة المعركة في صفين هو الذي قتله[2]، وذلك عندما تبين بغي

---

١) نقل الطبري في تاريخه: ج ٤ ص ٣٥٠ أن عبيد الله بن زياد جمع الناس في المسجد الأعظم في الكوفة _ بعد قتله للإمام الحسين عليه السلام حفيد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله، وسيد شباب أهل الجنة _ وصعد المنبر خطيباً وقال: (الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر... يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل... الحسين بن علي وشيعته)، فكذبه عبد الله بن عفيف الأزدي وقال له: (أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين؟).

٢) كما ورد في كتاب الاحتجاج: ج ١ ص ١٨١ عن مولانا الصادق عليه السلام أنه لما قتل عمار ارتعدت فرائص خلق كثير وقالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **« عمار تقتله الفئة الباغية »**، فدخل عمرو بن العاص على معاوية وقال له: يا أمير المؤمنين قد هاج الناس واضطربوا! قال: لماذا؟ قال: قتل عمار، فقال: قتل عمار فماذا؟ قال: أليس قال رسول

الله ﷺ تقتله الفئة الباغية ؟

فقال معاوية: دحضت في قولك، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله علي بن أبي طالب لما ألقاه بين رماحنا، فرده أمير المؤمنين عليه السلام لما بلغه كلامه هذا بقوله: « **فإذاً رسول الله ﷺ قتل حمزة عليه السلام لما ألقاه بين رماح المشركين**» .

كما ورد في دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٩٢، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٦٨ .

وذكره أبو بكر في كتابه بدائع الصنائع: ج ١ ص ٣٢٣ .

وابن حزم في كتابه المحلى: ج ١١ ص ٩٧ بسنده عن مولاتنا أم المؤمنين السيدة أم سلمة .

والعجب منه أنه مع هذا النص الصريح الذي يرويه هو عن النبي ﷺ وإقراره أن أصحاب معاوية قتلوه قال: (كانوا متأولين تأويلهم فيه وإن أخطئوا الحق مأجورون أجراً واحداً) !!!!

والحال أن نفس معاوية لم يدع أنه مجتهد بل احتال على الناس بدعوى أن من قتل عمار هو من رماه بين رماح جيش معاوية، ولذا رده أمير المؤمنين بما تقدم عنه عليه السلام .

وابن حجر العسقلاني في سبل السلام: ج ١ ص ٩٥ .

وأحمد بن حنبل في مسنده: ج ٢ ص ١٦١ .

وعن ابن عمرو ص ١٦٥، وص ٢٠٦، وعن أبي سعيد الخدري عن

معاوية وحزبه بقتله لهذا الصحابي الجليل رضوان الله عليه الذي لم ينسَ الصحابة الأجلاء ولا غيرهم مقولة رسول الله ﷺ فيه عندما قال له: « عَمَّار تَقْتُلُهُ الفِئَةُ الباغية » .

رسول الله ﷺ ج ٣ ص ٥ ومواضع أخرى كثيرة من المسند .

وفي صحيح البخاري: ج ٣ ص ٢٠٧ بسنده عن أبا سعيد الخدري أنه قال: كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة، وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين، فمر به النبي ﷺ ومسح عن رأسه الغبار وقال: « **ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار** » .

ورواه عن مولاتنا أم سلمة أيضاً .

وسنن الترمذي: ج ٥ ص ٣٣٣ .

ورواه النووي في شرح صحيح مسلم وقال: (قال العلماء: هذا الحديث حجة ظاهرة في أن علياً رضي الله عنه كان محقاً مصيباً والطائفة الأُخرى بغاة) .

وغيرها من المصادر كسنن البيهقي والمستدرك وغيرهما فليراجع من يريد الإطلاع .

الأمر الثالث :

وهو متفرع عن سابِقَيه وحاصله التعريض بمن تصدى لولاية الأمر وخلافة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهو متلبس بالظلم والجور وجاهل بالمعروف، أو لا يأمر به إما لعدم جرأته على بيان الحق والمعروف، أو لعدم انسجامه مع مصالحه، فعلى كل الأحوال في الحديث تأكيد على عدم تولي أحدٍ ممن يدعي الولاية إلا من اتصف بهذه الصفات وتحلى بهذه السجايا .

• وخلاصة القول في هذه الفقرة :

أن ولي الأمر من كان في نفسه عادلاً ـ بكل ما للعدالة من معنى ـ ومتحلياً بالإحسان، وعارفاً بشريعة الله وواقفاً على كل معروف من أصولها وفروعها، وآمراً بها، ولا تأخذه في الأمر بها ودعوة الناس إليها لومة لائم، ولا طمع بغنائم، وعلى الناس السعي للارتقاء الفكري والعلمي بالشريعة الإلهية لتحصيل القدرة على تمييز العادل والمحسن، والآمر بالمعروف من غيره لاتخاذه إماماً وولياً .

وعليه فالوجه الرابع أقرب الوجوه كما أفاد العلامة المجلسي رحمه الله ولكن مع تتميمه بعدم الغض عن معرفتهم من خلال أمرهم عليهم السلام للناس بالمعروف المستبطن لأمر الناس بالتحلي بالوعي وتمييز الإدعاءات الحقة من الباطلة .

• الجهة الثالثة :

في فائدة من المعنى العام للحديث

كل ما تقدم عزيزي الباحث إنما هو بالنسبة للحديث من جهة كل فقرة من فقراته على حدة، ولكن هناك بعض الفوائد يمكن استفادتها من الحديث بمجمل فقراته نشير إلى واحدة منها .

والفائدة العامة هي: إن وجوب المعرفة على المكلفين ليس مقتصراً على المعرفة الصحيحة للرسول (صلى الله عليه وآله) فقط، ولا على معرفة الله جل وعلا فحسب، بل لا تجزي المعرفة إلا إذا استكملت أركاناً ثلاثة، وهي :

أولاً : معرفة الله تعالى .

وثانياً : معرفة الرسول.

وثالثاً : معرفة ولي الأمر .

فإن هذا مفاد إيجاب المعارف الثلاثة الإلهية والنبوية والولوية[1]، وهو وإن كان ناظراً إلى تحديد مستوى المعرفة ومرتبتها إلا أن هذا مبني على المفروغية عن أصل وجوب هذه المعارف الثلاث[2].

وترتب هذه المعارف الواجبة بعضها على بعض طبيعي؛ فإن ولي الأمر قائم مقام الرسول في الدعوة إلى الله وهداية العباد إليه. والرسول صلى الله عليه وآله إنما هو سفيرٌ ورسولٌ إلى الخلق من قبل الله جل وعلا، فلا بد من معرفة المرسِل أولاً، والرسول ثانياً، ووصيه الحافظ لشريعته من بعده ثالثاً، وأي خلل في المعرفة بلحاظ أي حلقة من حلقات هذه السلسلة يؤدي إلى فجوة لا تحمد عقباها في الاعتقاد والسلوك والعمل، فإن

---

١) فالعقيدة كل لا يتجزأ، والإيمان بكل ركن أيضاً لا يتجزأ فهو على نحو العموم المجموعي لا الاستغراقي، بمعنى أنه لا أثر للاعتقاد التبعيضي، فمثلاً من آمن ببعض الأئمة يكون غير ممتثل لوجوب معرفة ولي الأمر، لأن مجموع الأئمة موضوع واحد، وهكذا بالنسبة لله ورسوله، فلا يجترأ ببعض الصفات دون الأخرى مثلاً .

٢) المفروغية عن أصل الوجوب: معناها التسليم به .

من لم يعرف ربه فلن يؤدي شكره وبالتالي سيخسر الدنيا والآخرة .

ومن عرف ربه جل وعلا ولم يعرف رسول ربه ﷺ المرسل إليه فلن يتمكن من معرفة كتاب ربه ولا معرفة رسالته، ولا شريعته وبالتالي لن يعرف ربه .

ومن عرفهما وضَلَّ عن الخليفة الحقيقي للرسول ﷺ فلن يهتدي لا إلى الله تعالى كما يبغي[1] أولاً، ولا إلى الرسول ﷺ[2] ثانياً، ولا إلى الرسالة الإلهية ثالثاً؛ لأن الإمام ترجمان لرسالة الرسول وهادٍ للخلق من بعده[3]، وحامٍ للشريعة من التأويل الخاطئ، أو التحريف في كتابها[4] وأصولها وفروعها، وهذا مراد مولانا الرضا عليه السلام في حديث سلسلة

---

١) كما سيأتي في النموذج الأول الآتي .
٢) كما سيأتي في النموذج الثاني الآتي .
٣) لقوله تعالى في سورة الرعد الآية ٧ : ﴿...**إنما أنت منذر ولكل قوم هاد**﴾ .
٤) كما سيأتي في النموذج الثالث الآتي .

الذهب[1] الذي أفاده على أهل نيسابور عندما طلبوا منه أن يحدثهم بحديث عن النبي صلى الله عليه وآله فحدثهم عنه صلى الله عليه وآله بحديث قدسي عن الله جلت عظمته، وهو ما رواه الصدوق في توحيده قال: حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه، قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي، قال: حدثنا محمد بن الحسين الصوفي، قال: حدثنا يوسف ابن عقيل، عن إسحاق بن راهويه، قال: لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام بنيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا ابن رسول الله ترحل عنا ولا تحدثنا

---

١) وهذه السلسلة الذهبية هي من أشرف أسانيد الأحاديث وأرقاها وأعلاها وسميت بذلك لتسلسل سنده القدسي تصاعدياً من حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه المعصومين عن أمير المؤمنين عن الرسول الأعظم عن الله جل وعلا، وقد بلغت بركة هذا الحديث وقداسته أن الفقهاء كالسيد كاظم اليزدي في العروة الوثقى استناداً لبعض الأدلة جعل كتابته على كفن الميت من المتسحبات المندوبات .

بحديث فنستفيده منك؟ وكان قد قعد في العمارية، **فأطلع رأسه وقال: « سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي بن أبي طالب يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت الله جل جلاله يقول: لا إِلهَ إلا اللهُ حِصْني فَمَنْ دَخَلَ حِصْني اَمِنَ مِنْ عَذابي، فلمّا مرّت الرّاحلة نادانا بِشُرُوطِها وَأنَا مِنْ شُرُوطِها »**[1] .

---

١) التوحيد للشيخ الصدوق في شروط التهليل: الحديث ٢٣ .

• نماذج من موارد الحاجة للإمام في معرفة الله تعالى والرسول والرسالة

ولما تقدم ينبغي لنا أن نذكر نماذج عن الأمور التالية كأمثلة ومؤيدات لما قلناه، وهي :

أولاً : دور الإمام عليه السلام في التعريف الصحيح بالله تعالى وهداية الخلق إليه .

وثانياً : دوره عليه السلام في التعريف الصحيح بالرسول صلى الله عليه وآله المرسل من قبله تعالى .

وثالثاً : دوره عليه السلام في حفظ الرسالة الإسلامية .

- **أما النموذج الأول :**

فلكي تتضح الحاجة إلى الإمام الهادي والولي المرشد عليه السلام **في** المعرفة الصحيحة لله تبارك وتعالى وتوحيده نشير إلى طائفتين من النصوص ونقتصر في كل منهما على بعض الأحاديث من باب المثال لا الاستقصاء .

- **الطائفة الأولى :**

في مدى مستوى المعرفة الإلهية عند الذين لم يتعرفوا على الله تعالى من خلال أئمة الهدى بل اقتصروا على عقولهم أو على فهمهم القاصر للنصوص في ذلك، ونقتصر على بعضها .

منها : ما يرويه محمد الفتني في كتابه تذكرة الموضوعات[1] عن قتادة عن عكرمة ونسبه إلى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله رأى ربه **في** صورة شاب أمرد .

---

١) تذكرة الموضوعات: ص١٢ ، واعلم أنه لا يمكن رد الحديث لمجرد ذكره مع الأحاديث الموضوعة؛ إذ هذا ما هو إلا تدليس، وكيف يمكن ذلك وقد أشار مصرحاً بصحته، وقد صححه كثيرون .

فعلق عليه قائلاً :

قال ابن صدقة، عن أبي زرعة: حديث صحيح لا ينكره إلا معتزلي، ثم قال: إن حمل على رؤية المنام فلا إشكال، وإن حمل على اليقظة فأجاب أستاذنا كمال الدين بن همام: بأن هذا حجاب الصورة[١] .

والعجلوني[٢] بعد أن نقل تكذيب السبكي لهذا الخبر استدرك بأنه منقول عن اللآلئ للسيوطي، ونقل ما تقدم عن ابن صدقة وابن همام .

---

١) وقد صحح شيخ المجسمة ورئيسهم أبو العباس تقي الدين بن تيمية الحراني الأحاديث المجسمة لله على صورة شاب أمرد؛ حيث ذكر في كتابه بيان تلبيس الجهمية في الرد على بدعهم الكلامية تصحيح الحديث بسنده المذكور أعلاه، ويزعم فيه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: (رأيت ربي على صورة شاب أمرد له وفرة شعر قطط جعد في روضة خضراء) وفي بعضها: (عليه حلة حمراء) وفي أخرى: (عليه خضراء) وفي غيرها: وصف لحذاء ذهبي لله تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً . وقد روى مسلم في الصحيح، وتبعه كبار الحفاظ والمحدثين أنه (رأى محمد ربه بقلبه) .

٢) كشف الخفاء: ج ١ ص ٤٣٦ .

ومنها : ما في صحيح ابن حبان[1] تحت عنوان **(الأخبار عن زيارة** أهل الجنة معبودهم جل وعلا) حيث نقل ضمن رواية ناسباً **إياها إلى** أبي هريرة: أن أهل الجنة إذا دخلوها... فيزورون الله جل وعلا... ، ويجلس أدناهم ، وما فيهم دني .

ومنها : ما يقوله ابن أبي الحديد المعتزلي[2]: وسمعت أنا في عصري هذا من قال: في سورة الزمر وهي قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾[3]: إنهم قيام على رأسه بسيوفهم وأسلحتهم .

تقييم الطائفة الأولى :

ولا يخفى أن هذه النصوص ومثلها كثير مما لا يصدر إلا عمن لا معرفة له بالله تعالى؛ لكونها تنسب التجسم والنواقص له جل وعلا [4] .

---

١) صحيح ابن حبان: ج ١٦ ص ٤٦٧ .

٢) شرح نهج البلاغة: ج ٣ ص ٢٢٧.

٣) سورة الزمر: الآية ٧٥ .

٤) وما نقله سماحة السيد هو غيض من فيض أحاديث التجسيم المثبوتة في المجاميع الحديثية لكتب العامة وحتى في كتاب البخاري

فالحديث الأول : يصوره جسماً على صورة شاب أمرد وحاشا لحبر الأمة ومحدثها الكبير ابن عباس رضوان الله عليهما أن يصدر عنه أمثال هذه الترهات، وهو من خيرة تلاميذ أمير المؤمنين ومولى الموحدينعليه السلام، ولا أدري لماذا يشبه واضع هذا الحديث ربه بالشاب الأمرد[1] ؟.

المسمى بالصحيح ففيه إشارات وتلويحات لوجود قدم ورجل لله ووجود ساق له وأنه يضحك وله جلوس في بيت ومع الخلق وغيرها تعالى سبحانه عن ذلك علواً كبيراً.

١) وحال عكرمة من الكذب والافتراء والوضع خصوصاً على مولاه ابن عباس لا يخفى على أهل الاختصاص .

وقد ورد عن ابن عباس وصفه لعكرمة بالخبيث الكذاب الملعون.

ولا يمكن لمن صححه التنصُّل من الاعتقاد به؛ لأن قاعدتهم الأساسية في اعتماد الروايات هي صحة السند حتى إنه لو تعارض مع الثوابت فهم يقولون: (إذا صح الحديث فهو مذهبي).

والثاني : يصوره على أنه في جهة خاصة، ويفترض **له مكاناً وقياماً** وجلوساً، بالإضافة إلى التجسيم .

والثالث : يفرض له مكاناً وجسماً ورأساً، وغير ذلك **من النواقص** التي يُجَل الله تبارك وتعالى عنها .

• الطائفة الثانية :

ولننظر في المقابل إلى أقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام حول **صفات الله** تعالى ومعرفته، وذلك من خلال استعراض عدة من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام كأمثلة لها :

منها : ما ورد عن بعض أولياء الله تعالى العارفين به، النافين عنه كل شبه أو نقص أو تجسيم من قبيل ما روي عن أفضل تلامذة رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة[1] **وهو** قوله عليه السلام:

١) نهج البلاغة: ج ١ ص ١٤٨ الخطبة ٨٥.

«وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَالآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ، لَا تَقَعُ الأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ وَلَا تَعْقِدُ القُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ، وَلَا تَنَالُهُ التَجْزِئَةُ وَالتَبْعِيضُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الأَبْصَارُ وَالقُلُوبُ، فَاتَعِظُوا عِبَادَ اللهِ بِالعِبَرِ النَوافِعِ، وَاعْتَبِرُوا بِالآيِ السَوَاطِعِ...»

ومنها : ما في نهج البلاغة[1] أيضاً من قوله عليه السلام: «مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَّدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ...، لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً...، لا تَنَالُهُ الأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ[2]، وَلَا تُدْرِكُهُ

---

١) نهج البلاغة: ج ٢ ص ١١٩ الخطبة ١٨٦.

٢) وإلى القارئ الكريم شرح الخطبة بإيجاز :

ما وحده في كيفية: ما أتى بالتوحيد من جعل لله كيفية وهيئة.
ولا حقيقته أصاب من مثله: لم يدرك صفة الله من جعل لله مثيلاً. ولا صمده من أشار إليه وتوهمه: تنزه الله من أن تراه العيون أو تحيط به الأوهام ومعنى صمده: قصده.
لم يلد فيكون مولوداً: لأن لكل جسم أجزاء ونهاية وحدود.
لا تناله الأوهام فتقدره: امتنع الله عن الأوهام أن تصور كنهه.

الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ وَلَا تَلْمِسُهُ الأَيْدِي فَتَمَسَّهُ، وَلا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ، وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ، وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الأَجْزَاءِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ.. » .

ومنها : ما رواه الكليني قدس سره بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: جاء حبر إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته؟ قال: فقال: « وَيْلَكَ مَا كُنْتُ أَعْبُدُ رَبّاً لَمْ أَرَهُ » .

ولا تتوهمه الفطن فتصوره: مقصوده عليه السلام العقول الحاذقة قاصرة عن الإحاطة بكنه الله ونهايته، لا تدركه الحواس فتحسه ولا تلمسه الأيدي فتحسه: لأن اللمس والحس يكون للأجسام وتعالى سبحانه عن الجسمية، لا يتغير بحال: لا يطرأ على الله التغيير، ولا يتبدل في الحال: لا ينتقل من حال لآخر لأن المتغير حادث والله قديم، ولا تبليه: ولا تفنيه، ولا يغيره تقلب الزمان وتصرف الدهور؛ لأنه ليس بجسم، والأجسام تتقلب أحوالها في الظلمة والنور. ولا يوصف بشيء من الأجزاء: ليس بمركب من أجزاء ولا بالجوارح الأعضاء: لأنها مستلزمات الجسمية.

اكتفينا بشرحها وأعرضنا عن سابقتها لأن ما شرحناه في الثانية وافٍ عما يستظهر من الأولى.

قال: وكيف رأيته؟ قال: «...لا تُدْرِكُهُ العُيُون فِي مُشَاهَدَةِ الأَبْصَار، وَلَكِنْ رَأَتْهُ القُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإِيْمَان »[1].

ومثله كثير لمن راجع مثل نهج البلاغة والصحيفة السجادية[2] المشتملين على كنوز من المعارف الإلهية.

وهذه الأحاديث بما تحويه من حقائق توحيدية تعد تأكيداً لنصوص القرآن الكريم المحكمات[3]:

---

١) الكافي: ج ١ ص ٩٧ الحديث ٦.

٢) الصحيفة السجادية: وهي زبور آل محمد تشكل منظومة معرفية عالية المستوى في تهذيب النفس وبناء الذات وتبيان طبيعة الارتباط بالله وهي مسندة بسند صحيح إلى الإمام الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام سيد الساجدين وزين العابدين الإمام علي بن الحسين صلوات الله عليهما.

٣) المحكمات: هي الواضحات التي لا تحتاج لعناء الجدل؛ لصراحتها ولا تحتمل الوجوه المتعددة، والآيات القرآنية منها محكمات كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ومنها متشابهات أي تتعدد فيها الوجوه والإحتمالات كقوله تعالى ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ ووظيفة المؤمن رد المتشابه إلى المحكم.

كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[1]

وكقوله جل وعلا: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[2].

فإنهما تفيدان نفي مماثلته جل وعلا لأي شيء، ونفي إمكانية الإحاطة البصرية به، ولو كان في الرؤيا فضلاً عن اليقظة، بل أكثر من ذلك فإن إطلاقه يشمل أبصار الأوهام والقلوب والعقول فضلاً عن أبصار العيون، وعلى أساس هذه المحكمات يجب تأويل جميع الظواهر القرآنية وغيرها التي قد يتصور الجاهل أنها تثبت التجسيم له جل وعلا ، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

---

١) سورة الشورى: الآية ١١ .

٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٣ .

• وأما النموذج الثاني :

فلكي تتضح الحاجة إلى الإمام الهادي، والولي المرشد في المعرفة الصحيحة للرسول ﷺ نشير إلى طائفتين من الأخبار ولا نكثر التعليق بل نترك التأمل والحكم فيهما والترجيح للقارئ اللبيب .

• **الطائفة الأولى** : وفيها عدة روايات

منها : ما ذكره إمام الحنابلة أحمد ابن حنبل في مسنده[1] بطريقين عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّ الْأَسْوَدَ بْنَ سَرِيعٍ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (وآله) وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي قَدْ حَمِدْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَحَامِدَ وَمِدَحٍ وَإِيَّاكَ..

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ (وآله) وَسَلَّمَ: « **أَمَا إِنَّ رَبَّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ الْمَدْحَ هَاتِ مَا امْتَدَحْتَ بِهِ رَبَّكَ..** » قَالَ: فَجَعَلْتُ أُنْشِدُهُ فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَأْذَنَ، أَدْلَمُ، أَصْلَعُ، أَعْسَرُ، أَيْسَرُ، قَالَ: فَاسْتَنْصَتَنِي

---

١) مسند احمد بن حنبل: ج ٣ ص ٤٣٥ .

لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وآله) وَسَلَّمَ وَوَصَفَ لَنَا أَبُو سَلَمَةَ كَيْفَ اسْتَنْصَتَهُ، قَالَ: كَمَا صَنَعَ بِالْهِرِ؛ فَدَخَلَ الرَّجُلُ فَتَكَلَّمَ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَجَ، ثُمَّ أَخَذْتُ أُنْشِدُهُ أَيْضًا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدُ فَاسْتَنْصَتَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وآله) وَسَلَّمَ وَوَصَفَهُ.. أَيْضًا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ ذَا الَّذِي اسْتَنْصَتَّنِي لَهُ.؟[1]

فَقَالَ: (هَذَا رَجُلٌ لَا يُحِبُّ الْبَاطِلَ، هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ..) !!!

ونقله الهيثمي[2]، وحكاه عن الطبراني بأسانيد، وصحح بعضها .

كما نقله البخاري بدون ذكر اسم الداخل[3] .

كما نقله ابن الأثير وحاول تعليله بتأويل عليل، وتبعه فيه ابن منظور[4] في مادة بطل .

---

١) وزاد أبو القاسم الكوفي صاحب الاستغاثة ج ٢ ص ٦ : أنه أسكته واستنشده أربع مرات .

٢) مجمع الزوائد: ج ٨ ص ١١٨ .

٣) الأدب المفرد: ص ٨٠ .

٤) لسان العرب: ج ١١ ص ٥٦ .

ومنها : ما على وزان سابقه: وهو ما ذكره المناوي[1] في فيض القدير في شرح الجامع الصغير: أن عمر دخل على النبيﷺ وعنده جوار يضربن بالدف فأسكتهن لدخوله، قائلاً: هو لا يحب الباطل .

ومنها : ما رواه البخاري[2] في صحيحه عن سَعْدَ بْنَ أَبِى وَقَّاصٍ قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه (وآله) وسلم، وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ[3]، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه (وآله) وسلم، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه (وآله) وسلم يَضْحَكُ..

فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاَءِ اللاَّتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ » .

---

1) فيض القدير في شرح الجامع الصغير: ج ٥ ص ٣٠ .
2) صحيح البخاري: ج ٤ ص ٩٥ .
3) يبتدرن الحجاب: يسارعن للبس الحجاب .

قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ . ثُمَّ قَالَ: **أَيْ عَدُوَّاتِ** أَنْفُسِهِنَّ ! أَتَهَبْنَنِي وَلاَ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه (وآله) وسلم ؟ قُلْنَ: نَعَمْ ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ[1] مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه (وآله) وسلم !!! .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه (وآله) وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا[2] إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ» .

ومنها : ما رواه البخاري أيضاً[3] بسنده عن أم المؤمنين عائشة، قَالَتْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه(وآله) وسلم وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ

---

١) أفظ وأغلظ: أي أكثر فظاظة وغلظة؛ إذ من الواضح أنهما اسم تفضيل على وزن أفعل ومحصل ذلك في هذه الرواية أن يعتبر النبي الأكرم ﷺ فظ غليظ «والعياذ بالله» ولكن عمر هو أكثر منه غلظة وفظاظة ؟!!! مع أن الله تعالى يشهد له بقوله تعالى فيه: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ ويقول أيضاً: ﴿ **وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ .

٢) الفج: الطريق الواسع .

٣) صحيح البخاري: ج ٢ ص ٢ .

بُعَاثٍ فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي، وَقَالَ: مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه(وآله) وسلم فَقَالَ: «دَعْهُمَا» فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا.. وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ[1] وَالْحِرَابِ، فَإِمَّا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه (وآله) وسلم وَإِمَّا قَالَ: (تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ). فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ خَدِّي عَلَى خَدِّهِ وَهُوَ يَقُولُ: «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفَدَةَ»[2]. حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ قَالَ: (حَسْبُكِ)[3]. قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: (فَاذْهَبِي).[4]

---

١) الدرق: الترس إذا خلا من الخشب، والحراب: السكاكين .

٢) بني أرفدة: قوم من الحبش معروفون بمهارة الرقص .

٣) حسبكِ: كفاك بمعنى هل اكتفيتِ .

٤) المراد من بعاث إما بالتشديد بمعنى المهيج المطرب الذي يبعث النفس ويحركها، أو المراد به غناء خاص كانت تغنيه قبيلة الأوس في المدينة لأنهم اتخذوه يوم عيد لانتصارهم فيه على قبيلة الخزرج، وكان بين الأوس والخزرج حرب، قد استمرت بينهما دهراً طويلاً، لدرجة أنهم كانوا لا يضعون السلاح، لا بالليل ولا بالنهار، وكانت آخر حرب بينهم يوم بعاث، وكان النصر للأوس على الخزرج، فاتخذوه يوم عيد .

ومنها: ما ذكره البخاري أيضاً في ما يسمى بالصحيح[1] بسنده **عَنِ** ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه(وآله) وسلم **وَجَعُهُ، قَالَ**: « ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ».

قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه(وآله) وسلم غَلَبَهُ الْوَجَعُ[2]، وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ، حَسْبُنَا.. فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ . قَالَ: « قُومُوا عَنِّي، وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ » .

فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه (وآله) وسلم وَبَيْنَ كِتَابِهِ .

وفي مواضع أخرى من نفس الكتاب[3] زاد التفصيل أكثر حيث، قال: اختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده،

---

١) صحيح البخاري: ج ١ ص ٣٦ .

٢) وهذا تلطيف للعبارة التي صدرت منه خلال وداع الرسول ولكن ما نقلته السنن والمسانيد أنه قال: (إن النبي أو الرجل ليهجر) والعياذ بالله تعالى .

٣) صحيح البخاري: ج ٥ ص ١٣٧ ، و ج ٨ ص ١٦١ .

ومنهم من يقول: ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف قالﷺ: قوموا.

وفي مورد آخر من صحيحه[1] لما لم يذكر اسم عمر القائل نقل العبارة الواقعية التي وجهها للرسولﷺ وواجهه بها حال مرضه ووداعه لأصحابه، حيث روى أن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر رزية الخميس، وبكى حتى خضب دمعه الحصباء، وذكر القصة بعينها وأن الرجل، قال: هجر رسول اللهﷺ.

وأضاف أنه أوصى بثلاث عند موته فذكر اثنتين، وقال: نسيت الثالثة[2].

---

١) صحيح البخاري: ج ٤ ص ٣١ .

٢) النصوص التي مضامينها تنسب الأعمال القبيحة للرسول ﷺ وتفضل بعض الصحابة على حساب النبيﷺ وتسوغ اجتهادهم مقابل النص النبوي القطعي تكاد لا تحصى لكثرتها وغزارتها، نذكر جملة منها مما في صحيح البخاري :

أ- الحديث ٢٩٣ : ومفاده أن النبي ﷺ يقرأ القرآن متكئاً في حضن عائشة وهي حائض .

ب- الحديث ٣١٦ : ومفاده أن النبيﷺ يقبل زوجته وهو صائم.

ت- الحديث ٢٨٠ : ومفاده أنه ﷺ يطوف على نسائه التسعة في ليلة واحدة لشدة شهوته .

تحليل ما تقدم :

ففي الرواية الأولى : نُسب إليه صلى الله عليه وآله أنه لا يبالي من سماع الباطل، وأن بعض أصحابه أكثر منه تحرزاً في نبذ الباطل، فضلاً عما نسب إليه صلى الله عليه وآله من إسكاته لأحد أصحابه كما يسكّت الهر مع أنه رضوان الله تعالى عليه ما كان يُنشد إلا مدحه لله ورسوله صلى الله عليه وآله !!!

ث- الحديث٢٢٣ : ومفاده أنه صلى الله عليه وآله يبول قائماً على سباطة القوم أي (مزبلتهم) .

جـ - الأحاديث ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ : ومفادها أنه (حاشاه) صلى الله عليه وآله تتهمه بمباشرة نسائه في محيضهن لكن من وراء الثياب !!!.

حـ - الحديث ٥٧١ ومفاده : أنه صلى الله عليه وآله لم يصل العصر من شدة تعبه ولم يهتم ، بينما عمر صلاها قبيل الغروب ومع ذلك حزن وأخذت نفسه تعاتبه .

د- الحديث ١٤٦ : الذي يصور عمر أشد غيرة منه صلى الله عليه وآله أن عمر يطلب من النبي صلى الله عليه وآله وبإلحاح أن يستر نسائه عند خروجهن ليلاً ، وهو غير أبه .

ر- ومن أراد الاستفاضة حول عدم تقيد الخلفاء بالنصوص فعليه مراجعة المراجعة رقم ٨٥ من الكتاب الشريف المراجعات .

وفي الرواية الثانية : نسب إليهﷺ أنه يجالس النساء وتتعالى أصواتهن عنده، وهن بلا حجاب، أو بسوء حجابهن، وعند دخول شخص ما يبتدرن حجابهن !!!

وإن استظهر مستظهر من الرواية أن المراد من الحجاب هو الستر الذي تجلس النساء خلفه في مجلس الرجال، فهو لا يدفع إشكالات الرواية.

وفي الرواية الثالثة : نسب إليه حاشاهﷺ أنه يستمع الغناء البَعَّاث (أي المطرب أو المهيج) الذي يعتبره أبو بكر أنه زمارة الشيطان ويستهجن، أو غناء الجاهلية الذي كانوا يتغنون به بعد آخر معركة بين الأوس والخزرج .

وإضافة إلى ذلك تقول الرواية: إنهﷺ قام آخذاً بزوجته إلى الشارع، وأوقفها خلفه أو حملها على ظهره حتى لاصق خدها خده؛ لتتفرج على السودان وهم يلعبون بالدرق والحراب حتى إذا ملت أو اكتفت أنزلها ثم أدخلها إلى دارها !!!

وفي الرواية الرابعة : نسب إليه ﷺ **أنه غلبه الوجع وبرواية** أخرى أنه يهجر (أي صار يهذي) **حاشاه** ﷺ **وبعبارة أخرى إسقاط** حجية قوله، فضلاً عن دعوى الاستغناء عن السنة بالمرة[1] **بدعوى** الاكتفاء بكتاب الله جل وعلا !!!

وهذا غيض من فيض كثير مما لا ينبغي نسبته إلى عوام المؤمنين المتدينين فضلاً عن الرسول الأكرم ﷺ وخاتم رسله تعالى .

---

١) وما أدري كيف الذي يقول: (حسبنا كتاب الله) يثبت أن الصلوات اليومية الواجبة خمس، وكيف يثبت توزيع ركعاتها وأجزائها وشرائطها ومبطلاتها وغير ذلك كثير مما لا سبيل لمعرفته إلا من خلال الاستعانة بالسنة الشريفة .

• الطائفة الثانية :

ونذكر منها عدة أخبار أيضاً

منها : ما رواه الكليني رحمه الله[1] بسنده عن الأصبغ بن نباتة قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام يوم افتتح البصرة... قال عليه السلام: أيها الناس ألا أخبركم بخير الخلق يوم يجمعهم الله... إن خير الخلق... الرسل وإن أفضل الرسل محمد صلى الله عليه وآله...

ومنها : ما في نهج البلاغة[2] عن أمير المؤمنين عليه السلام يصف الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بقوله: « اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمِشْكَاةِ الضِيَاءِ وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ، وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ ومَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ، أرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ، فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ وَالْعَادِلِينَ بِهِ.. أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي الاصْطِفَاءِ، فَرَتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ، وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ، وَذَلَّلَ بِهِ

---

١) الكافي: ج ١ ص ٤٥٠.

٢) نقله عنه صاحب مناقب آل أبي طالب .

الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى الْحَقِّ، وَشَاهِداً عَلَى الْخَلْقِ، فَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ وَلَا مُقَصِّرٍ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَذِّرٍ، إِمَامُ مَنِ اتَّقَى، وَبَصَرُ مَنِ اهْتَدَى » .

فإذا كان صلى الله عليه وآله هو المختار من شجرة الأنبياء عليهم السلام ومقدم بالاصطفاء فكيف يمكن قبول ما في مسند أحمد بن حنبل بسند له يروي عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: (وَمَنْ قَالَ أَنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ)[١]، مع أنه صلى الله عليه وآله من الأنبياء أولي العزم، وأين يونس بن متى عليه السلام منهم عليهم السلام مع نبوته وجلالة قدره، هذا إن لم نلحظ أنه ممن لا يقاس به أحد، ولعل وجه نسبة الكذب للقائل من هذا الباب: أي كذب لأن تفضيل موجود على آخر يعني أنهما متساويان من جميع الجهات إلا من الجهة التي فُضل الفاضل على المفضول فيها، وهذا لا يليق بالنسبة للرسول صلى الله عليه وآله مع أي مخلوق آخر كائناً من كان .

---

١) مسند أحمد بن حنبل: ج ٢ ص ٤٥١ ح ٩٤٤٥ .

ولا يخفى أن غناء بعاث أو الغناء البعَّاث واللعب بالدرق، وزمارة الشيطان هي من سنن الجاهلية الجهلاء، وقد أكدت مولاتنا الزهراء عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان مائلاً عنها.

حيث قالت _ بعد غصب إرثها في خطبتها المشهورة[1] التي ألقتها في مسجد النبي صلى الله عليه وآله ومِن فوق منبره عند مطالبتها لأبي بكر بإرثها_ في وصف أبيها عليهما السلام: «...مائلاً عن المشركين حائداً عن سنتهم...»[2].

وأين هذا الذي نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مما رواه الحاكم في

---

١) وهي الخطبة الفدكية المليئة بالمعارف الإلهية والتوحيدية والمخزونة بمعان الإسلام والولاية والوافرة في الرفد العقائدي والفقهي قد ألان الله لحجته الكبرى عليها السلام فيها أعطاف البرهان، وسهل لها درجات الفكر والأدب، الذي يعجز عن أدائه المتخصصون وإن اجتمعوا، واعتزلوا انقطاعاً للتأليف والخطابة، ومن جلالها أن أئمتنا كانوا يأمرون صبيانهم بحفظها.
وتواترها واستفاضتها وكونها مخزن علوم الأولين والآخرين ظاهر جلي أقوى من كل سند.

٢) شرح الأخبار للقاضي المغربي: ج ٣ ص ٣٥.

مستدركه وصححه[1] وفيه أن الله تبارك وتعالى قال لآدم عليه السلام: «**إنَّهُ** (أي رسول الله صلى الله عليه وآله) **لأحَبُّ الخَلْقِ إليَّ ادعني بِحَقِهِ فَقَد غَفرتُ لَكَ، وَلَولا مُحَمَد** صلى الله عليه وآله **ما خلقتك**».

وقول الدمياطي البكري في إعانة الطالبين[2]: قال ذو العزة والجلال: «**لَولاكَ. لَولاكَ مَا خَلَقْتُ الأفْلاك**»، وقد أرسله إرسال المسلمات.

وهكذا أرسله شارح أصول الكافي[3].

وابن شهر أشوب في مناقبه[4].

وصاحب بحار الأنوار[5] وغيرها.

وهكذا في كفاية الأثر للخزاز القمي[6].

---

١) مستدرك الصحيحين للحاكم: ج ٢ ص ٦١٥ الحديث ٤١٩٤.

٢) إعانة الطالبين: ج ١ ص ١٣.

٣) شرح أصول الكافي: ج ٩ ص ٦١.

٤) المناقب: ج ١ ص ١٨٦.

٥) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٠٣.

٦) كفاية الأثر للخزاز: ص ٧٢.

وقريب من هذا المعنى للشيخ الصدوق في علل الشرائع[1] .

ومعاني الأخبار[2] .

كما حكي هذا الحديث عن القسطلاني .

والطبراني في الجامع الصغير . والزرقاني والسبكي .

والسمهودي في كتابه وفاء الوفاء .

والعزامي في كتابه فرقان القرآن .

والبيهقي في دلائل النبوة فراجع .

وإذا أردنا مناقشة أقوال القائلين حول نظرتهم لعصمة الرسولصلى الله عليه وآله التي هي ملاك إرساله، وأساس حجية أقواله، وتقريراته وأفعاله، وفرزها طائفتين كما فعلنا سابقاً لرأينا العجب العجاب من التهافت الكبير بين نظرة أهل بيت النبوةعليهم السلام حول النبيصلى الله عليه وآله وعصمته، وبين نظرة من لم يستقِ علمه من معدن الهداية، وباب علم منبع الرسالة.

---

١) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ج ١ ص ١٧٤ .

٢) ومعاني الأخبار: ص ٣٥١ .

- **وأما النموذج الثالث :**

وهو المرتبط بالحاجة للإمام الهادي في معرفة الشريعة وحفظها، وهنا كما تقدم نشير إلى طائفتين من الآراء الفقهية ليتضح احتياج الأمة للإمام الذي يمتلك الفهم الدقيق للشريعة الإلهية، ولأدلة أحكامها بحيث يبين بالدليل المقنع انسجام الشريعة مع الفطرة الإنسانية السليمة، التي فطر الله تعالى الناس عليها، وكيفية تلبيتها لاحتياجات المجتمع البشري .

وبما أن المسائل الشرعية الفقهية كثيرة جداً لكون الشريعة الإسلامية مستوعبة لجميع وقائع الحياة، واحتياجات الناس الفردية والاجتماعية، فلا بد لنا من الاقتصار على بعض الشواهد المهمة لتوضيح المطلوب .

• **الشاهد الأول :**

إن كثيراً من أصحاب الآراء والمذاهب الفقهية غير الآخذين تعاليم دينهم وأحكامه عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ذهبوا إلى أن الزوج إذا تلفظ بطلاق زوجته تخرج عن عصمته، وتَنْفَضُّ حياتهما الزوجية، وينفرط عقد الأسرة بكاملها، ويتشرد الأولاد بين أمهم وأبيهم، وهذا مع كونه من أبغض الحلال، إلا أنه مما شرعه الله تعالى وأجازه على كل حال، وليست المشكلة هنا، ولكن المصيبة أنهم أفتوا بوقوع الطلاق حتى ولو كان الزوج غاضباً غضباً شديداً، بل حتى ولو كان ثملاً من السكر (أي سكران) وحتى لو حلف عليها عند غضبه بالطلاق إذا خرجت من بيتها مثلاً بأن قال لها: (إن خرجتِ فأنتِ طالق) مع ذلك يقع الطلاق المُحَرِم بمجرد خروجها، حتى ولو رضي الزوج بعد ذلك بخروجها وينفرط عقد العائلة بذلك حينئذ، وعليه فالبناء الأسري العتيد يصبح بهذه الفتاوى ـ التي يعتبرونها ركائز لقوانين نظم المجتمع الإسلامي ـ أوهى من بيت العنكبوت؛ فإن

العنكبوت تتخذ بيتها في الزوايا ولا ينفرط عقد نظمه وانتظامه إلا أن يكون الناقض متوجهاً إليه قاصداً لنقضه وتخريبه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بمجرد خروج بعض الألفاظ من فم الناقض لا ينخرم، بينما عقد الزوجية يكفي لنقضه بعض الألفاظ ولو من غير القاصد!! فلا عجب ولا مبالغة إن قلنا: إن عقد الزوجية بناء على مثل هذه الفتاوى يصبح أوهى بمراتب كثيرة من بيت العنكبوت.

وكذلك فإنهم يفتون بأن عقد الزوجية لا يتم ولا ينعقد إلا بحضور شاهدين، ومن دونهما أو أحدهما لا يتم العقد والحال أن كثيراً ما توجب الظروف خلوة رجل بامرأة مالكة لأمرها في سفر أو نحوه، خصوصاً أيام وسائل النقل القديمة، ويكون من الأسلم والأفضل شرعاً وعرفاً أن يعقدا بينهما عقداً شرعياً؛ لئلا يقعا بخلوة محرمة أو يبتليا بنظر أو لمس محرم، ولا يجدا في سفرهما وقطعهما الفيافي أي شاهد يشهد زواجهما[1].

---

١) نبه كي لا يصطاد أحدهم في الماء العكر، بأن الشهود والإشهار

وكثيراً ما طُعن على الدين الحنيف وعلى الشريعة السمحة لأجل هكذا فتاوى، أنها تُصعّب أمر الزواج رغم شدة احتياج المجتمع البشري لهذه العلاقة الشرعية التي تحصنه من الوقوع في المعاصي، وتقيه من أن يلقى آثاماً، ويضاعف له العذاب الأخروي ويبقى مخلداً فيه مهاناً، وبالمقابل تسهل أمر الفصل والطلاق رغم احتياج المجتمع البشري لإحكام ارتباط البنيان الأسري، وشد وثاق طرفي الأسرة التي هي نواة المجتمع المتماسك السليم. بينما لو رجعنا إلى أولياء الله تعالى من أهل البيت عليهم السلام ولاحظنا فقههم الكاشف عن فهمهم الدقيق للكتاب والسنة؛ لوجدنا القضية بالعكس تماماً، ولوجدنا أن أحكام الشريعة الصادرة عنهم تلبي احتياجات الناس على أحسن وجه، وتنسجم مع متطلبات إحكام العلقة الزوجية وتسهيل تشييدها ويتضح ذلك من

للزواج ليسا مرفوضين في المذهب الإمامي الجعفري، بل هما مطلوبان على نحو الاستحباب والندب، لا على سبيل الوجوب والإلزام .

خلال الحوار الفقهي الذي جرى بين أحد أحفاد الرسول ﷺ من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وبين واحد من المتصدين للفتوى والقضاء من قِبَل بعض سلاطين ذلك الزمان، نقل هذا الحوار الشيخ الكليني في كتابه المعروف (الكافي)[1] بسنده عن محمد بن الفضيل، قال: كنا في دهليز يحيى بن خالد بمكة وكان هناك أبو الحسن موسى عليه السلام وأبو يوسف فقام إليه أبو يوسف، وتربع بين يديه فقال: يا أبا الحسن! جعلت فداك، المحرم يظلل؟

قال: « لا ». قال: فيستظل بالجدار والمحمل ويدخل البيت والخبأ؟

قال: « نعم » .

قال: فضحك أبو يوسف شبه المستهزئ، فقال له أبو الحسن عليه السلام: « يا أبا يوسف! إن الدين ليس بالقياس كقياسك وقياس أصحابك! إن الله عز وجل أمر في كتابه بالطلاق، وأكد فيه بشاهدين، ولم يرض بهما

---

١) الكافي: ج ٤ ص ٣٥٢ ح ١٥ .

إلا عدلين[1]» _وهذا إشارة إلى قوله تعالى في أول سورة الطلاق:
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ... وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾_
« وأمر في كتابه بالتزويج وأهمله بلا شهود » _وهذا أيضاً إشارة إلى أوامر النكاح الواردة في الكتاب الكريم، ومثلها في السنة والتي لم يقيد شيء منها بالإشهاد مثل قوله تعالى في سورة النساء: ﴿..فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ..﴾ وقوله جل وعلا[2]:
﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾_ « فأتيتم بشاهدين فيما

---

١) العدالة وإن اختلف في تعريفها ولكنها: هي التقوى والاستقامة على جادة الشريعة بفعل الواجب وترك المحرم.
٢) سورة النور: الآية ٣٣.

أبطل الله[1]، وأبطلتم شاهدين فيما أكد الله عز وجل[2]، وأجزتم **طلاق** المجنون والسكران » .

ثم قال عليه السلام رداً على ما استهزأ منه أبو يوسف بالدليل وهو التمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «حَجَّ رّسُولُ الله صلى الله عليه وآله فَأحْرَمَ وَلَمْ يُظَلِلْ، وَدَخَلَ البَيْتَ وَالخَبْأ وَاسْتَظَلَّ بِالمَحْمل والجِدَار، فَعَلْنَا كمَا فَعَلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله». فسكت .

ولذا تجد في فقه أئمة أهل البيت عليهم السلام شروطاً متعددة لا يقع الطلاق مع فقد واحد منها، كل ذلك للحفاظ على الأسرة من التشتت والانفراط والضياع .

ومن أراد أن يقف على هذه الشروط فليرجع إلى الموسوعات

---

١) والمعنى أنكم اشترطتم شاهدين في النكاح، مع أن الأوامر به مطلقة قد أسقط الله تعالى لزوم الشهادة فيها .

٢) أي منعتم من لزوم الشهادة في الطلاق، مع أن الله تعالى أكد على لزوم شاهدين عليه؛ ليقلل من إمكان وقوعه وهو المنسجم مع ما هو المعروف من كونه أبغض الحلال .

الفقهية، والحديثية التي تحكي فقه أولياء الله تعالى فإننا لا نريد التوسع والخروج عن موضوع البحث .

وكشاهد على قولهم بوقوع طلاق السكران حال سكره كما أشار إليه الإمامعليه السلام في قوله السابق، ننقل ما قاله النووي في كتابه المجموع[1] من رأيه ورأي أكثر صحبه قال: (وإن شرب خمراً أو نبيذاً فسكر فطلق في حال سكره فالمنصوص أن طلاقه يقع... وقال أكثر أصحابنا: يقع طلاقه قولاً واحداً) .

---

١) كتاب المجموع: ج ١٧ ص ٦٢ .

- **الشاهد الثاني :**

إنه جل وعلا _ وكعلاج وقائي ليمنع الزوج من التسرع بالطلاق ولو مع تحقيق الشروط الكثيرة التي تقدم أن منها الإشهاد وعدالة الشهود وغير ذلك كثير_ فرض عقوبة يأباها أصحاب الحمية، وتتوقى منها النفوس الأبية، ممن يريدون استمرارية حياتهم الزوجية، وهي باختصار: أنه إذا طلق الزوج زوجته ثم أرجعها، ثم طلقها ثانية وأرجعها، ثم طلقها ثالثة؛ فلا يحل له أن يُرجعها، أو يعقد عليها حتى تنكح زوجاً آخر، ثم إذا طلقها الثاني أو مات فتعتد منه، وحينئذٍ يحل للأول أن يعقد عليها من جديد .

لكن كثير من الفقهاء الذين لم يستندوا في فقههم إلى تعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام ذهبوا إلى أن من قال لزوجته أنت طالق ثلاثاً : حرمت عليه فوراً، ولا تحل له حتى ينكحها ويدخل بها زوجاً غيره، وقد صرح بذلك كثير من أصحاب المؤلفات الفقهية على اختلاف مشاربهم

وكمثال على ذلك تجنباً للتطويل نذكر ما أفاده محي الدين النووي في كتاب المجموع[1] وهو من كبار فقهاء الشافعية بقوله: (وإن قال: أنت طالق ثلاثاً، وقع عليها الثلاث، وبه قال جميع الفقهاء، إلا رواية عطاء فإنه قال: يقع عليها طلقة) .

هذا، وفي موضع آخر نقل خبراً يبين مسبب ومستحدث هذا القول، وفيه ضمناً: تبيين لموقف الرسول الأكرمﷺ من قضية طلاق الثلاث دفعة وهو: ما رواه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن قال: طلاق الثلاث كان واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر، فقال عمر: إن الناس قد استعجلوا في أمرٍ كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم .

رواه أحمد ومسلم، ورواه أبو داود بهذا المعنى وغيرهم..

ومعنى أنه أمضاه عليهم: أنه جعل طلاق من طلق ثلاثاً دفعة واحدة،

---

١) المجموع: ج ١٧ ص ١٣٠ .

كثلاث طلقات متفرقات مع تخلل رجعتين، وأنها موجبة لتحريم الزوجة حتى تنكح غيره، وهذا يقطع باب الرجعة، وباب تواصل العائلة من جديد إلا من خلال إدخال وسيط، وإذا أضفنا إلى هذا الرأي وقوع الطلاق ولو مع الغضب أو السُكر يتضح جلياً للمتأمل ما قلناه: من صيرورة البناء الأسري ـ بناء على هذه الآراء البعيدة عن فقه أهل البيت النبوي عليهم السلام بل عن الذوق البشري ـ ضعيفاً هشاً، وأوهى من بيت العنكبوت .

وبهذا يتضح كم أوجبت هذه الفتاوى وأمثالها التي لم يُرجَع فيها إلى الولي الهادي الموكل بترجمة الأحكام الإلهية، وتبيين السنة النبوية: من هشاشةٍ في الروابط الأسرية، وضعفٍ في البنية الاجتماعية للمجتمع الإسلامي .

- **الشاهد الثالث** : من باب الإرث

وهو جزء من النظام الاقتصادي المالي في الشريعة الإسلامية، **وله** آثاره وتبعاته الهامة ولذا جعل الباري تعالى له حدوداً دقيقة في القرآن الكريم، وركز أحكامه الرسول الأكرم ﷺ بحيث لا تخرج فرُوضُه عن المعقولية .

فقد فرض للزوج مع وجود ولد للزوجة منه، أو من غيره ربع المال، ومع عدمه نصفه .

وفرض للزوجة مع ولد للزوج منها، أو من غيرها ثمن ماله، ومع عدمه الربع .

وفرض للبنت الواحدة النصف .

وللبنتين فصاعداً من دون ذكور الثلثين .

وللأب السدس .

ولأم المتوفى الثلث إن لم يكن له ولد، والسدس إن كان له ولد .

إلى غير ذلك من الفروض المتعلقة بالإرث والورثة .

وليس من المعقول للمولى المشرع الحكيم الذي أحاط بكل شيء علماً أن يجعل في بعض الموارد الإرثية فروضاً وأسهماً تزيد عن مجموع التركة، بل لا بد من أن تكون تركة الميت وافية دائماً بما فرضه الله تعالى، ومنسجمة معه .

فلو فرضنا أن زوجة توفيت وتركت ابنتها وزوجها وأبويها، فبناء على الأسهم المقررة يتوجب الربع للزوج، والسدسين للأبوين، والنصف للبنت .

وكذلك إذا اجتمع زوج وأبوان وبنتان، ومجموع الأسهم في المثالين تزيد على تمام التركة كما هو واضح .

هذا إن أبقيت الأسهم على ما هي عليه، وهذا ما ذهب إليه بعض الصحابة، وتبعهم الفقهاء في عصر التقنين والفتوى فأقروا ما ذهبوا إليه رغم روايتهم لروايات مقابلة في مضمونها تدل على أن الأحكام الشرعية يستحيل أن لا تنسجم مع المنطق السليم، ويمتنع وقوع

التهافت فيها _ في نفسها وبغض النظر عن الحلول والآراء التي قد **يرتئيها البعض لعلاج التهافت التشريعي** _ ومن هذه الروايات التي تبين **رأي أهل البيت**عليهم السلام على لسان واحد من تلاميذهم ما رواه صاحب السنن الكبرى[1] بقوله: أخبرنا بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: دخلت أنا وزفر بن أوس بن الحدثان على ابن عباس بعد ما ذهب بصره فتذاكرنا فرائض الميراث .

فقال: ترون الذي أحصى رمل عالج[2] عدداً لم يحص في مال نصفاً ونصفاً وثلثاً؟

إذا ذهب نصف ونصف بالمال فأين موضع الثلث؟

فقال له زفر: يا أبا عباس ! من أول من عال الفرائض؟

قال: عمر بن الخطاب .

قال ولمَ ؟. قال: لما تدافعت عليه وركب بعضها بعضاً قال: والله ما

---

١) السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن علي البيهقي: ج ٦ ص ٢٥٣.
٢) الأرض الرملية .

أدري كيف أصنع بكم؟ والله ما أدري أيكم قدم الله ولا أيكم أخر؟

قال: وما أجد في هذا المال شيئاً أحسن من أن أقسمه عليكم بالحص .

ثم قال ابن عباس: وأيْمُ الله لو قدم من قدم الله، وأخر من أخر الله؛ ما عالت فريضة، فقال له زفر: وأيهم قدم وأيهم أخر ؟

فقال: كل فريضة لا تزول إلا إلى فريضة، فتلك التي قدم الله وتلك فريضة الزوج له النصف، فإن زال، إلى الربع، لا ينقص منه، والمرأة لها الربع، فإن زالت عنه، صارت إلى الثمن، لا تنقص منه، والأخوات لهن الثلثان، والواحدة لها النصف، فإن دخل عليهن البنات كان لهن ما بقي .

فهؤلاء الذين أخر الله فلو أعطى من قدم الله فريضة كاملة، ثم قسم ما يبقى بين من أخر الله بالحصص ما عالت فريضة..

والعجب! أنه يقر بإعمال رأيه في هذه المسألة من دون الرجوع إلى مولانا أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي طالما قال فيه: (لا

أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبا الحسن)، أو (لولا عليٌّ لهلك عمر) ونحو ذلك، مع أن ابن حجر في كتابه فتح الباري[1]، والدار قطني في سننه، وابن أبي الحديد في شرحه[2] نقل عنه أنه قال في خطبة له: (ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فأفتوا برأيهم فضلوا وأضلوا) .

وزاد بعض الرواة على خطبته قوله: ألا وإنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ما نضل ما تمسكنا بالأثر .

ولا أدري بأي أثر تمسك في تقديم من قدم، وتأخير من أخر .

وقد أشار إلى نفس اعتراض ابن عباس رضي الله عنهما لكن باختصار: الصنعاني في كتابه قائلاً : أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عبيد الله ابن عبد الله قال: سمعت ابن عباس يقول: أحصى الله رمل عالج ولم يحص هذا، ما بال في مال ثلثان ونصف، يعني أن الفريضة

---

١) فتح الباري: ج ١٣ ص ٢٤٥ .

٢) شرح ابن أبي الحديد: ج١٢ ص ١٠٢ .

لا تعول[1].

ولهذا ونحوه ورد عن علي عليه السلام ما ذكره الشيخ الكليني **في الكافي** تحت عنوان باب نادر من أبواب الإرث عن سعدان بن مسلم، **عن** غير واحد من أصحابنا، وفي رواية أخرى عن يونس بن يعقوب، **عن** أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: « **الحمد لله** الذي لا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم، ثم ضرب بإحدى يديه **على** الأخرى، ثم قال: أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها ! أما إنكم لو قدمتم من قدم الله، وأخرتم من أخر الله، وجعلتم الولاية والوراثة حيث **جعلها** الله؛ ما عال ولي الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله ولا تنازعت الأمة في شيء من أمر الله، إلا علم **ذلك** عندنا من كتاب الله، فذوقوا وبال ما قدمت أيديكم وما الله **بظلام** للعبيد وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ».

---

1) المصنف: ج ١٠ ح ١٩٠٢٢.

وباب الفقه والأحكام وسيع جداً لا مجال للإحاطة بالتهافت، والبون الكبير بين فهم أهل البيتعليهم السلام للقرآن والسنة الشريفة وأحكامهما وبين فهم غيرهم ممن تجاوزهم، وترفَّع عن الرجوع إليهم، وأفتى بنظره ومقاييسه .

كما لا داعي للدخول في بحث بيان البون الكبير النظري والعملي بين القيم التي طرحها الرسولصلى الله عليه وآله وأهل بيته، وبين أطروحات وسيرة غيرهم، ممن لم يستضئ بنورهم، ولم يهتدي بهديهمعليهم السلام .

• الجهة الرابعة للحديث :

نظرة في سنده

ختاماً نجد من المناسب أن نشير لأهل الاختصاص إلى بعض المباحث المتعلقة بسند هذا الحديث حتى تصبح مثالاً يُتأمل فيه، ونبراساً يُحتذى به في تقييم أسانيد الأخبار التي للوهلة الأولى ومن دون ملاحظة ما سيأتي قد لا تخلو من خدشة أو إشكال بحسب الصناعة العلمية وعليه نقول : قد روي الحديث بسندين :

أولهما : عن الكليني عن علي بن محمد عمن ذكره عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن حمران عن الفضل بن السكن .

وثانيهما : عن الشيخ الصدوق في توحيده[1] بقوله :

---

١) توحيد الصدوق: ص ٢٨٧.

حدثني أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن أبي عمير عن محمد بن حمران عن الفضل بن السكن.

ومثله في الإمامة والتبصرة[1] مع حذف أبيه من أول السند، وأرسله في الهداية[2].

ولا يخفى أنه مسند على الثاني ومرسل على الأول[3].

---

١) الإمامة والتبصرة: ص ١٣٧.

٢) الهداية: ص ١٥.

٣) ينقسم الخبر الذي لا يقطع بصدوره عن المعصوم إلى:

المسند: وهو ما أشتمل سنده على جميع أسماء رواته ممن ينقله عن المعصوم إلى من ينقله إلينا، وهو قسمان معتبر وغير معتبر، والأول ما وُثق بصدوره عن المعصوم، والثاني بخلافه.

والمعتبر حجة وغيره ليس بحجة، ويسمى المسند بالمتصل أيضاً.

أما المرسل: فهو ما لم يشتمل سنده على جميع أسماء رواته.

وهو قسمان: مرسل الثقة، ومرسل غيره،

أما مرسل الثقة: فهو ما ينسبه للمعصوم راو يطمئن علماء الرجال إلى أنه لا يروي إلا عن ثقة، وهو حجة عند كثير من علماء الأصول.

ولاشتراكهما في الراويين الأخيرين، ولاتصال السند الثاني، **نكتفي** باستقصاء رجاله وبيان أحوالهم :

أما والد الصدوق : فغني عن التعريف .

وأما سعد : فهو الأشعري المعدود من الأجلاء .

وأما أحمد بن محمد بن عيسى : فهو من أجلاء العلماء القميين ورئيسهم في زمانه .

وأما ابن أبي عمير : فمن خيرة الثقات وأصحاب الإجماع الذين أجمعت الطائفة على تصحيح ما صح عنهم .

وأما محمد بن حمران : فقد ورد في بعض نسخ الكتب الحديثية التي روت الحديث بدل ابن حمران، ابن عمران، وهو اشتباه بلا ريب؛

وأما مرسل غيره: فهو ما ينسبه للمعصوم راو مجهول الحال في كيفية روايته، وهو ليس بحجة، إلا إذا عمل بمضمونه الفقهاء، فيكون حجة في رأي بعض الفقهاء، ويسمى الحديث المرسل بالحديث المنقطع .

لأنه لم يذكر أحد من المحدثين أو الرجاليين محمد بن عمران في طبقة أصحاب الإمام الصادق عليه السلام أو طبقة من يروي عنهم، فالصحيح هو ما ذكرنا، نعم نقل الصدوق عن محمد بن عمران تفسير الكليني للحديث.

وقد روى عن هذا العنوان -أي محمد بن حمران- أجلة الأصحاب من قبيل: محمد بن أبي عمير، وابن أبي نصر، وابن أبي نجران، وجميل، ويونس، وأبان، والحسين بن سعيد، وغيرهم، إلا أنه مردد بين أشخاص:

١. النهدي الكوفي: الذي ذكره النجاشي ووثقه.[١]

وذكره الشيخ في رجاله[٢].

٢. وابن أعين الشيباني: وهو ابن أخي زرارة بن أعين، الذي عده ابن النديم من مشايخ الشيعة، وعلمائهم وفقهائهم ومحدثيهم، على ما

---

١) فهرست النجاشي: الترجمة ٩٨٥.

٢) رجال الشيخ: ص ٢٨١ ترجمة ٨٤.

ورد في رسالة تاريخ آل زرارة لأبي غالب الزراري .

وعده ابن أبي عمير من مشايخ الطائفة كما نقله عنه صحيحاً في الخصال[1]، والصدوق في المجلس الثاني من أماليه .

كما ذكره الشيخ في رجاله[2] .

٣. مولى بني فهر : الذي ذكره الشيخ الطوسي ﵀ أيضاً في رجاله [3] .

لكن البرقي في رجاله ذكر: "محمد بن حمران مولى بني نهد" بدل: "بني فهر" في أصحاب الإمام الصادق﵇ فيكون هو النهدي الثقة ويكون قد وقع التصحيف في كلام الشيخ .

ولا يُبَعّد هذا الاحتمال إلا ذكر الشيخ للثلاثة في رجاله وعدهم جميعاً ضمن أصحاب الإمام الصادق ﵇ .

وذهب الأردبيلي[4] في كتابه إلى أن وصف النهدي وابن أعين بالكوفي

---

١) الخصال: ج ١ ص ١٠١ .
٢) رجال الشيخ: ص ٣١٣ ترجمة ٦٧٦ .
٣) رجال الشيخ: ص ٣١٣ ترجمة ٦٧٤ .
٤) جامع الرواة: ج ٢ ص ١٠٥ .

يشعر باتحادهما . ولكن يرده ما تقدم .

كما احتمل السيد الخوئي: اتحاد النهدي والشيباني، ثم رده واستبعده، واستبعاده في محله .

واستظهر أن لا يكون للشيباني أية رواية، واستدل لذلك بأن الصدوق رحمه الله ذكر في مشيخته طريقاً لمحمد بن حمران، وجميل بن درَّاج، ولم يقيده بالشيباني ولا بالنهدي، وقال في من لا يحضره الفقيه[1]: وسأل محمد بن حمران النهدي، وجميل بن دراج، أبا عبد الله عليه السلام، مما يدل على أن المراد من ابن حمران في جميع الروايات عند ذكره _مطلقاً_ هو النهدي، وعليه لا يبقى للشيباني رواية .

ولكن ليست هذه القرينة بهذا الوضوح لتكون نافية لرواية الشيباني خصوصاً مع عده من فقهاء الطائفة ومحدثيها، على ما ورد في رسالة أبي غالب الزراري عن ابن النديم .

---

١) مَن لا يحضره الفقيه: ج ١ باب التيمم ح ٢٢٣ .

وعليه فالاشتراك مستحكم ولا يمكن إثبات كونه الثقة من بينهم إلا على المبنى القائل بأن المشترك ينصرف عند الإطلاق إلى الثقة المشهور المعروف وليس هو إلا النهدي؛ إذ هم متحدون في الطبقة، فلا يمكن استكشاف الحال من خلال الراوي والمروي عنه، إلا مع ثبوت قرائن خاصة، وهي هنا غير متوفرة.

وأما الفضل بن السكن: فلم يتعرض له رجاليونا في مصادرهم الرجالية، لا بمدح ولا بقدح، بل لم يذكرونه مطلقاً فيها.

ولكن ذكره رجاليو العامة كالذهبي [1] وقال فيه: لا يُعرف. وذكره العقيلي في ضعفائه[2].

إلا أن الزيلعي اعترض عليه بقوله: ولم أجده في ضعفاء ابن حبان على ما نقله العظيم آبادي في كتابه عون المعبود الجزء الثامن فيعد الرجل مجهولاً بحسب الاصطلاح، إلا أن هذا طبيعي إذا عرفنا أنه لم يروِ

---

١) مروج الذهب: ج ٣ ص ٣٥١.

٢) ضعفاء العقيلي: ج ٣ ص ٤٤٩.

عنه أرباب حديثنا إلا هذا الحديث فقط لا غير؛ ولهذا ذكره السيد الخوئي رحمه الله في جملة رجال الكتب الأربعة، هذا بالنسبة لنا .

أما بالنسبة للعامة: فلم يذكروا له في كتبهم الحديثية إلا حديثاً واحداً أيضاً حول صلاة النبي صلى الله عليه وآله على الجنازة .

والحاصل أن سندي الحديث _ بناء على ما تقدم_ مخدوشان بالاشتراك والجهالة، بالإضافة إلى إرسال أولهما .

ولكن هل مجرد وجود خدشة في سند الحديث يعد دليلاً على بطلانه، وعدم صدوره عن النبي صلى الله عليه وآله أو الأئمة المعصومين عليهم السلام؟ وبالتالي هل يبيح لنا ذلك أن نرميه أو نهمله، ولا نعتني به؟

ويتضح الجواب من خلال القاعدة الآتية .

• قاعدة وفائدة

وهنا لا بد من الإشارة إلى قاعدة عامة مهمة ينبغي الالتفات إليها في نقد الأحاديث وتمييزها وحاصلها: أنه لا ينبغي التسليم بما يصدر عن بعض المبتدئين من رد الحديث مباشرة لمجرد عدم تمامية الموجود من سنده بحسب نظره، أو حتى بحسب التقسيم الرباعي المشتهر عند المتأخرين للحديث[1]؛ وذلك للزوم تتبع كل القرائن التي يمكن أن

---

١) التقسيم الرباعي للحديث هو: أن الحديث المسند المتصل ينقسم إلى أربعة أقسام وهي:

١_ الصحيح وهو: ما كان جميع رواته من عدول الإمامية .
وهو حجة عند جميع العلماء كافة .

٢_ الموثق وهو: ما كان رواته أو بعضهم من ثقاة المسلمين.
وهو حجة عند الأكثر من العلماء .

٣- الحسن وهو: وهو ما كان جميع رواته أو بعضهم من الممدوحين من قبل الرجاليين.
وهو حجة عند الأكثر .

٤- الضعيف وهو: ما كان رواته أو أحدهم ممن لا يوثق بنقلهم .

تؤثر في قيمة الخبر، والتي قد توجب قبوله، والاعتماد عليه[1]، وقد **يكتفي الملاحظ** والمتتبع ببعضها لتحصيل الاطمئنان بالصدور، وقد **يستفيد منها مجتمعة**، المهم أنه لا يمكن تجاوزها، وردّ الحديث أو **إهماله بدونها** ،

فمنها : ثبوت معناه ومضمونه في القرآن الكريم، أو في السنة **المعتبرة**.

ومنها : ملاحظة نَقَلَة الحديث ورواته، من حيث أنفسهم، ومن

وأول من ابتكر هذا التقسيم العلامة الحلي وقد شجبه الإخباريون.

١) وهذه القرائن لا تختص بجبر الخبر الضعيف أو زيادة احتمال قبوله، ويقال لها: (جابرة لضعفه)، بل إنها أيضاً قد تضعف الخبر الصحيح، وتسمى (كاسرة)؛ فكل ما خالف القرآن الكريم، أو السنة الشريفة القطعية، أو العقل القطعي، فهو مردود، إلا أن يكون **تخصيصاً أو تقييداً** أو تبييناً للعام أو المطلق أو المجمل، وما أعرض عنه **الأصحاب المتقدمون** أو خالف المشهور في الفتوى فلا يعمل به **ويهمل (على المشهور)** ولو صح سنده .

جهة كتبهم، ورواياتهم .

ومنها : ملاحظة كيفية تعاطي سائر العلماء مع الحديث ـ سيما المتقدمين منهم المطلعين على الأصول الروائية القديمة التي أخذت منها الكتب الأربعة[1] وغيرها ـ .

ومنها : ملاحظة سائر الروايات الأخرى التي قد تشترك في مضمونها مع الخبر، وقد تشكل مجتمعة معه تواتراً[2] ولو إجمالياً بصحته وصدوره عمن نسب إليه .

ومنها : مقارنة المضمون مع الأدلة العقلية التي قد تفيد اليقين بثبوت مضمونه مما يوجب البناء عليه، وإن لم يكن الخبر حجة في نفسه .

---

١) الكتب الأربعة: هي الكافي للكليني، ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق، والتهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي .

٢) الحديث المتواتر : هو ما يرويه في كل جيل من عصر المعصوم الصادر عنه حتى عصر العمل به والرجوع إليه للاستفادة مجموعة من المسلمين يستحيل اتفاقهم على وضعه أو على الكذب أو الاشتباه .

ولا يقال: لا قيمة حينئذ للخبر، بل الحجة لدليل العقل.

لأنه يجاب: بأن كثيراً ما يكون الخبر مع ضعفه السندي هو المرشد للعقل، ولولاه لما تنبه العقل لهذا المضمون، طبعاً إن كان مضمونه مما للعقل إليه سبيل.

وعلى فرض عدم حصول اليقين أو الاطمئنان الحجة بصدوره، فلا يجوز تكذيبه وإنكاره، ما لم يخالف حجة معتبرة، أو يثبت ذلك بدليل، بل لا بد من رد علمه إلى أهله من دون جحود أو إنكار، وإن كان المتأمل فيه ممن يستهجن مضمونه ولا يستسيغه، وخصوصاً بعد ملاحظة ما رواه الكليني بسنده إلى الإمام أبي جعفر عليه السلام حيث يقول: **« والله إن أحب أصحابي إليَّ أورعهم... وإن أسوأهم عندي حالاً وأمقتهم لَلَذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يقبله، اشمأز منه وجحده، وكفَّر من دان به، وهو لا يدري لعل الحديث من عندنا خرج، وإلينا أسند، فيكون بذلك خارجاً**

عن ولايتنا »[1].

ويمكن القول: بأن كل هذه القرائن متوفرة لتأييد مضمون **هذا الحديث** الشريف بالبيان التالي :

فالقرآن الكريم: مملوء بالحث على الإيمان بالله تعالى، وتقديره حق قدره وهو يتوقف على أعلى مراتب معرفته جل وعلا ، وهكذا بالنسبة للرسول صلى الله عليه وآله والأئمة[2] عليهم السلام .

وأما السنة الشريفة: فأكثر بياناً، وتفصيلاً في هذه الموارد كما لا يخفى على المتتبعين وأهل التحقيق .

أما نقلة الحديث وكتبهم: فقد تقدم أن الكليني رواه في أصول

---

١) الكافي: ج ٢ ص ٢٢٣ الحديث٧ .
وورواه الحلي في مستطرفات سرائره ص ٥٩١ وزاد فيه بعد يروى عنا: «فلم يعقله ولم يقبله بقلبه» .

٢) فإن آية الولاية مثلاً تستدعي معرفة عالية بالولي، وإلا لما وقع حبه بالقلب ولما انقادت النفس لولايته وإطاعته .

كافيه، ومن المعلوم أنه من نُقاد الحديث[1]، واشتهر عند الخاصة والعامة [2].

واعتماد كبار علمائنا على كتابه[3] غير خفي على أدنى المتأملين في **أقوالهم**، **ولا** نريد القول: بأنه صحيح كله، _وإن كان هذا مبنى عدة

---

١) **وقد** صرف عشرين سنة في جمع أحاديث كتابه ونقدها وترتيبها وتبويبها، كما أنه عاصر زمن الغيبة الصغرى لإمام زماننا عجل الله تعالى فرجه الشريف .

٢) **فمن الخاصة**: قول النجاشي فيه (..وكان أوثق الناس في الحديث، وأثبتهم) . وقال شيخ الطائفة فيه: (ثقة عارف بالأخبار) .
ومن العامة: قول ابن الأثير فيه: (من أئمة الإمامية وعلمائهم) ونقل أيضاً: أنه (من مجددي الإمامية على رأس المائة الثالثة) وهكذا قال الطيبي إلى غير ذلك من الشهادات الراقية في حقه.

٣) وقال الشيخ المفيد عن كتاب الكافي (من أجلِّ كتب الشيعة وأكثرها فائدة) وقد قال الكليني نفسه: _في مقدمة كتابه لمن طلب منه **تأليف** كتاب كاف يجمع فيه من جميع فنون علم الدين ما **يكتفي** به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد... **العمل** به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام _ (وقد **يسر الله**...**تأليف** ما سألتَ، وأرجو أن يكون بحيث توخيتَ...) **ولكن مع ذلك لا** يعتبره مشهور علمائنا صحيح كله.

من كبار فقهائنا ومحدثينا[1]، حتى ورد عن بعض الأعاظم من الفقهاء والأصوليين: أن النظر في أسانيد الكافي حرفة العاجز[2] ـ بل المراد إثبات أن نقل الكليني المحدث النَّقَّاد للأحاديث قرينة على قوة الحديث.

---

١) ذهب الإخباريون، وجملة من الأصوليين إلى أن مضامين الكتب الأربعة صحيحة، ولم يذهبوا إلى توثيق جميع رجال الكتب الأربعة، كما يتوهم بعض الطلبة، وكيف يتصور بعض المبتدئين أن أسانيد الكافي صحيحة عند الإخباريين، والحال أن صاحب الحدائق الشيخ يوسف البحراني فرز في كتابه (لؤلؤ البحرين) روايات الكافي وفقاً للتقسيم الرباعي! وأنى ذلك والكتب الأربعة تزخر بالرواة غير الموثقين؟

وأما ما ينسب للناحية المقدسة من القول: «الكافي كافٍ لشيعتنا» فهذا لا قائل به من الشيعة، وإنما ظهر في تقديم أحدهم للكافي بقوله «وقد قيل» ولا أحد يعتمد على المجهول.

٢) وهذا العالم هو أستاذ الفقهاء والمجتهدين الشيخ محمد حسين النائيني رحمه الله ونقل ذلك تلميذه الكبير، مسبار لجة بحر الغور والتحقيق، زعيم الشيعة وملاذها، قطب رحى العلم والمعرفة، السيد أبو القاسم الخوئي رحمه الله وأعلى الله مقامه.

كما رواه الشيخ الأجل المحدث الفقيه المعروف بالصدوق رحمه الله[1] في كتبه الثلاثة: الهداية، والإمامة والتبصرة، والتوحيد، وهو الكتاب الذي صنفه دفاعاً عن معتقدات أتباع المذهب الحق، ورد شبهات المخالفين.

ولا يخفى اعتماد العلماء على هذا الحديث في كتبهم المتقدمة

---

١) وهو من كبار علماء الطائفة ومحدثيها، طاف كثيراً من البلاد في طلب الحديث وجمعه، قال النجاشي رحمه الله فيه: ص ٣٨٩ الترجمة ١٠٤٩ (شيخنا وفقيهنا ووجه الطائفة بخراسان ورد بغداد... وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن) . ونقل عنه عشرات الكتب. وقال شيخ الطائفة الطوسي رحمه الله في رجاله: ص ٤٣٩ ترجمة ٦٢٧٥ عنه أيضاً: جليل القدر، حفظة، بصير بالفقه والأخبار. وكرر قوله هذا في كتابه الفهرست: ص ٢٣٧ ترجمة ٧١٠ ، وزاد: (حافظاً للأحاديث...ناقداً للأخبار، لم يُرَ في القميين مثله في حفظه، وكثرة علمه له نحو من ثلاثمائة مصنف).

وقد تولّد رحمه الله بدعاء إمام زماننا عجل الله فرجه الشريف حيث بَشَّر عليه السلام أباه بمولده، وشهد له بأنه من الخيّرين _كما نقله النجاشي في الترجمة ٦٨٤ ص ٢٦١_ ، وله كرامات كثيرة منها: بقاء جسده في قبره، وظهوره للعيان سالماً مستور العورة عندما جرف سيل عظيم المقبرة التي دفن فيها، رغم مرور قرون على وفاته قدس سره.

الذكر، بالإضافة إلى تسليم غيرهم ممن بعدهم به .

ثم إنَّ هذا المضمون في الجملة نُقل كثيراً في الروايات[1] **والأدعية**[2]، والأهم منه فقرته الأولى، وأياً كان تفسيرها فهي مؤيَدَة **بروايات كثيرة**، وليس في الحديث من المعاني ما يدعو لاستهجانه أو استبعاده .

وأما العقل: فإنَّ ضرورة معرفة الله تعالى، ومعرفة أنبيائه وأوصيائهم من بعدهم، من الأمور التي يستقل العقل بالحكم بها، بل لا يمكن

---

١) كما تقدمت الإشارة إليها عند دراسة دلالات فقرات الحديث .

٢) كما ورد في دعاء الصباح المروي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: «**...يا من دل على ذاته بذاته وتنزه عن مجانسة مخلوقاته...**» فهو عليه السلام يستجدي منه جل وعلا هذا النوع من المعرفة. وهكذا في الدعاء الشهير لإمامنا زين العابدين عليه السلام الذي كان يدعو به في سحر ليالي شهر رمضان، والمعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي حيث يقول: «**...بك عرفتك، وأنت دللتني عليك، ودعوتني إليك، ولولا أنت لم أدر ما أنت..**» فبالله تعالى عرف الله، وهو تعالى دعاه إليه فلبى عليه السلام. ويمكن أن يدل عليه المقطع الآخر منه وهو قوله عليه السلام: « **يا غفار بنورك اهتدينا** » باعتبار أن نوره ليس خارجاً عن ذاته المقدسة جلت عظمته.

إثبات أي دليل لوجوبها مع الاستغناء عن حكم العقل؛ لتوقف أي دليل آخر على حكمه ولا عكس، نعم لا يقضي العقل بالتزام هذه الطرق للمعرفة حصراً، إلا أنه لا يمنع منها أيضاً.

هذا بالإضافة

أولاً : إلى أن الإرسال في سند الكليني غير ضائر في قوة السند مع وجود سند الصدوق في اثنين من كتبه كما مر .

وثانياً : الإشكال بالاشتراك في محمد بن حمران

يمكن دفعه بالمبنى المشار إليه، والذي هو معتمد كبار فقهاء الطائفة سابقاً[1] ولاحقاً[2].

---

١) فإن الرجاليين وغيرهم عندما يذكرون اسم الرجل المشهور المعروف لا يقيدونه بقيد، وأما إذا ذكروا من لم يكن معروفاً فيقيدوه بأنه غير المشهور ليعلم أنه مشترك معه بالاسم.

٢) كما ذهب إليه المحقق السبزواري في ذخيرة المعاد: ج ١ ص ١٢٢. وهكذا السيد الخوئي بنى عليه في حل كثير من المشتركات الرجالية من قبيل ما ذكره في معجمه الرجالي في ج ١٤ ص ٧٠ .

وثالثاً : تقدم أن إهمال الرجاليين لحال ابن السكن **طبيعي جداً** مع انحصار ما نُقل عنه في الكتب المعتبرة بهذه الرواية .

وتضعيف بعض العامة له خصوصاً من كان من أمثال ابن تيمية، **لا يضر** كما لا يخفى على من لاحظ تضعيفاتهم لرواة الطائفة المحقة ولكبار محدثيها[1] لمجرد اشتهارهم بولائهم لأهل البيت عليهم السلام واعتقادهم بما

---

١) كما اتفق لتلميذ مولانا أمير المؤمنين المختص به والذي كان لا يعدل به أحداً، فإن العقيلي ضعفه في ج١ من كتابه الضعفاء ص١٢٩ ونقل تضعيف غيره له من أمثاله، والحجة التي ذكرها هي: أنه كان من القائلين بالرجعة، مع أن وجود حشرين للعباد مما قامت الأدلة عليه والحشرين هما :

١ـ **الحشر الجزئي** (المعبر عنه بالرجعة) .

٢ـ **والحشر العام** المنصوص في القرآن الكريم، بالإضافة إلى تأكيد أهل بيت العصمة والطهارة على ذلك ويكفيك مراجعة الآية ٨٢-٨٣ من سورة النمل التي يقول فيها سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ** ﴾ .

وردهم عنهم عليهم السلام .

وعليه فلا ينبغي التشكيك في قوة الحديث، وإمكان الاعتماد عليه كحجة في الاستدلال ولو العقائدي منه، بعد تأيد مضمونه بالنقل الصحيح والعقل السليم[1].

ومقارنتها مع الآيتين ٤٧-٤٨ من سورة الكهف التي جاء فيها قوله جل وعلا: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾.

١) يمكن تصوير اعتبار السند الثاني (المسند) بناء على إحدى قاعدتين رجاليتين تبنّى كلاً منهما مجموعة من الأعلام .

والمبنى الرجالي الأول بيانه :

أن الحديث المرسل إذا وقع في سنده أحد المشايخ الثلاثة محمد بن أبي عمير وصفوان والبزنطي كان حجة، فمن باب أولى حجية السند المتصل عند وقوع أحد الثلاثة فيه، وقد اعتمد هذه النظرية الشيخ الطوسي رحمه الله وبناء عليه يُحتج بالحديث من ناحية سنده وبنفس الطريقة، بناء على أن ابن أبي عمير من أصحاب الإجماع الثمانية عشر وهؤلاء مراسيلهم كمسانيدهم .

هذا ما أردنا بيانه بإيجاز، وبلا حشو أو إطناب قدر الإمكان، حول هذا الحديث الشريف .

والمبنى الرجالي الثاني بيانه :
أن الثقة إذا روى عن شخص كان ذلك دليلاً على وثاقته، وفي حالتنا فابن أبي عمير ثقة، ولا يروي إلا عن ثقة؛ وعليه فابن حمران ثقة وتبعاً له الفضل بن السكن ثقة أيضاً، ومحصله صحة الحديث سنداً .
ولا يخفى أن هذا المبنى لا يمكن التعويل عليه لأنه يؤدي إلى توثيق جميع رجال الأسانيد، أو جلها، وقد تمسك بهذا المبنى صاحب المستدرك الميرزا محمد حسين النوري رحمه الله.
خاتمة تتميم الحواشي :
هذا ما أردنا بيانه وإضافته على حاشية الكتاب لتزداد وضوحاً ، أنطقنا الله بالهدى وألهمنا التقوى، ووفقنا للتي هي أزكى، واستعملنا بما هو أرضى، اللهم اسلك بيَ الطريقة المثلى، واجعلني على ملتك أموت وأحيى، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله المعصومين.

• وفي الختام :

نسأل الله أن يرزقنا كمال معرفته، وكمال الانقطاع إليه، وأنار قلوبنا بضياء نظرها إليه، حتى تخرق أبصار قلوبنا حجب النور فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسه جل وعلا .

ولا يسعنا إلا التقدم بالشكر الجلي والدعاء الخفي لكل من ساهم في إخراج هذه البحوث إلى النور، وتهيئتها وإعدادها وتنقيحها وتقديمها بين يدي القراء الأعزاء؛ ليعم نفعها، وإضافة الشروح عليها ليسهل على الراغبين قِطافها فلله درهم وشكر الله تعالى سعيهم، وعلى المولى الكريم أجرهم .

ونختم بالدعاء الذي أُمرنا بتكراره زمن الغيبة والانتظار وهو:

« اللهم عرفني نفسك؛ فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف

رسولك، **اللهم عرفني رسولك؛ فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك؛ فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني** ».

وأسألك اللهم !

أن تحييني ما أحييتني على حب وولاية محمد وآل محمد،

وأن تميتني إذا أمتني على حب وولاية محمد وآل محمد،

وأن تبعثني إذا بعثتني مع محمد وآل محمد،

صلواتك عليهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل .

• المحتوى